عليه » وقد روى من طريق آخر وأعله أحمد وأبو حاتم والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه » قال أبو بكر فذكرت ذلك للحسن فقال أجل أما تقرأ بذلك قرآنا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

وقوله (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) أي لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها كما شرعته للامم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم التي بعثت نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه[1] في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السمح وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله نعم » وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله قد فعلت » وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال « بعثت بالحنيفية السمحة »

وقوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلنا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول في قوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) قال العزبة والغلمة رواه ابن أبي حاتم قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله (واعف عنا) أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا (واغفر لنا) أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة (وارحمنا) أي فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر ولهذا قالوا إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره . وقد تقدم في الحديث أن الله قال نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله (أنت مولانا) أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك (فانصرنا على القوم الكافرين) أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك : فانصرنا عليهم ، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة قال الله نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد فعلت . وقال ابن جرير حدثني مثنى بن إبراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي إسحق أن معاذا رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة (وانصرنا على القوم الكافرين) قال آمين ورواه وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال آمين

﴿ تفسير سورة آل عمران وهي مدنية ﴾

لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزل في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة كما سيأتي بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها إن شاء الله تعالى وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة أول البقرة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ .

قد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) و (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله (الم) في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وتقدم الكلام على قوله (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) في تفسير آية الكرسي

وقوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق) يعني نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أي لاشك فيه ولا ريب بل هو منزل

(١) كذا في النسختين بتذكير الضمير .

من عند الله أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً وقوله (مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء فهى تصدقه بما أخبرت به وبشرت فى قديم الزمان وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله (وأنزل التوراة) أى على موسى بن عمران (والإنجيل) أى على عيسى بن مريم عليهما السلام (من قبل) أى من قبل هذا القرآن (هدى للناس) أى فى زمانهما (وأنزل الفرقان) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغى والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبينات والدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات ، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك وقال قتادة والربيع بن أنس الفرقان ههنا القرآن واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن فى قوله (نزل عليك الكتاب بالحق) وهو القرآن . وأما مارواه ابن أبى حاتم عن أبى صالح أن المراد بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضاً لتقدم ذكر التوراة والله أعلم .

وقوله تعالى (إن الذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بها وأنكروها وردوها بالباطل (لهم عذاب شديد) أى يوم القيامة (والله عزيز) أى منيع الجناب عظيم السلطان (ذو انتقام) أى ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماء والأرض لا يخفى عليه شىء من ذلك (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) أى يخلقكم فى الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقى وسعيد (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) أى هو الذى خلق وهو المستحق للالهية وحده لا شريك له وله العزة التى لا ترام، والحكمة والأحكام ، وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر لأن الله صوره فى الرحم وخلقه كما يشاء فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى عليهم لعائن الله وقد تقلب فى الأحشاء وتنقل من حال إلى حال كما قال تعالى (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

يخبر تعالى أن فى القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أى بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى (هن أم الكتاب) أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه (وأخر متشابهات) أى تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا فى المحكم والمتشابه فروى عن السلف عبارات كثيرة فقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وحدوده وأحكامه ومايؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضاً أنه قال المحكمات قوله تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً) والآيات بعدها وقوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن

أبي حاتم وحكاه عن سعيد بن جبير به قال حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن إسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية (هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فقال أبو فاختة : فواتح السور وقال يحيى بن يعمر : الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام . وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير : (هن أم الكتاب) لأنهن مكتوبات في جميع الكتب ، وقال مقاتل بن حيان : لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن وقيل في المتشابهات : المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان ، وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضا وهذا إنما هو في تفسير قوله (كتابا متشابها مثاني) هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والمثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك . وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله حيث قال (منه آيات محكمات) فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه . قال : والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق

ولهذا قال الله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل (فيتبعون ما تشابه منه) أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع[1] لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى (ابتغاء الفتنة) أي الاضلال لأتباعهم إياهما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) وبقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله

وقوله تعالى (وابتغاء تأويله) أي تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل بن حيان والسدي يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يعقوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) إلى قوله (أولو الألباب) فقال « إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » هكذا وقع هذا الحديث في مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه من طريق إسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن أيوب به ورواه محمد بن يحيى العبدي في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به ورواه أبو بكر بن المنذر في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخراز وغيره عن ابن أبي مليكة فرواه الترمذي عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن أبي عامر الخراز فذكره ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد بن يحيى عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة ورواه ابن جرير من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة حدثتني عائشة فذكره وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثتهم عن العقبي عن يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) إلى قوله (وما يذكر إلا أولو الألباب) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فإذا رأيتم الذين يتبعون

(١) وفي نسخة الأزهر (دامغ) وهي أظهر .

ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » لفظ البخارى ، وكذا رواه الترمذى أيضا عن بندار عن أبى داود الطيالسى عن يزيد بن إبراهيم به وقال حسن صحيح وذكر أن يزيد بن إبراهيم التسترى تفرد بذكر القاسم فى هذا الاسناد وقد رواه غير واحد عن ابن أبى مليكة عن عائشة ولم يذكر القاسم كذا قال وقد رواه ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد الطيالسى حدثنا يزيد بن إبراهيم التسترى وحماد بن سلمة عن ابن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وقال ابن جرير حدثنا على بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم » ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن أبى غالب قال سمعت أبا أمامة يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) قال « هم الخوارج » وفى قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال « هم الخوارج » وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبى غالب عن أبى أمامة فذكره وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفا من كلام الصحابى ومعناه صحيح فإن أول بدعة وقعت فى الاسلام فتنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبى صلى الله عليه وسلم غنائم حنين فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل فى القسمة ففاجأوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة بقر الله خاصرته اعدل فانك لم تعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل أيأمننى[1] على أهل الأرض ولا تأمنونى » فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفى رواية خالد بن الوليد فى قتله فقال « دعه فانه يخرج من ضئضىء هذا أى من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التى أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ فى قوله « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قالوا ومامم[2] يارسول الله ؟ قال « من كان على ما أنا عليه وأصحابى » أخرجه الحاكم فى مستدركه بهذه الزيادة

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب ابن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر « ان فى أمتى قوما يقرءون القرءان ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه

وقوله تعالى (ومايعلم تأويله إلا الله) اختلف القراء فى الوقف ههنا فقيل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء ، فتفسير لايعذر أحد فى فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم ، وتفسير لايعلمه إلا الله : ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبى الشعثاء وأبى نهيك وغيرهم وقال الحافظ أبو القاسم فى المعجم الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) الآية وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألون عنه » غريب جدا وقال ابن مردويه . حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه

(١) فى النسخة الأميرية . أما يأمننى وما هنا فيه تلفيق ونقص كما يعلم من روايات الصحيحين وغيرهما (٢) وفى نسخة الأزهر ومن هم.

بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به » وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ ومايعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون آمنا به . وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود . إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكذا عن أبي بن كعب واختار ابن جرير هذا القول

ومنهم من يقف على قوله والراسخون في العلم وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به . وكذا قال الربيع بن أنس وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير : وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابهات على ماعرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره اليه ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) وقوله (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فان أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل ويكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ و (يقولون آمنا به) خبره ، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله (نبئنا بتأويله) أي بتفسيره فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على (والراسخون في العلم) لأنهم يعلمون ويفهمون ماخوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ماهي عليه وعلى هذا فيكون قوله (يقولون آمنا به) حالا منهم وساغ هذا وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم — إلى قوله — يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا) الآية ، وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) أي وجاء الملائكة صفوفا صفوفا

وقوله إخبارا عنهم أنهم يقولون آمنا به أي المتشابه كل من عند ربنا أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولهذا قال تعالى (وما يذكر إلا أولوا الألباب) أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن عوف الحمصي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا فياض الرقي حدثنا عبيد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال « من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم » . وقال الإمام أحمد حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يتدارءون فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا به . وما جهلتم فكلوه إلى عالمه » وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به ، وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا زهير بن حرب حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر — قالها ثلاثا — ماعرفتم منه فاعملوا به وماجهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله » وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة . وقال ابن المنذر في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد قال: يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذللون لله في مرضاته لا يتعاظمون

على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى عنهم مخبرا أنهم دعوا ربهم قائلين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أى لاتملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين فى قلوبهم زيغ الذين يتبعون ماتشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ، ودينك القويم (وهب لنا من لدنك رحمة) تثبت بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتزيدنا بها إيمانا وإيقانا (إنك أنت الوهاب) قال ابن أبى حاتم . حدثنا عمرو بن عبدالله الأودى وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قالا جميعا حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبى ﷺ كان يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » ثم قرأ (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن أسماء بنت يزيد ابن السكن سمعتها تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه « اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » قالت : قلت يارسول الله وإن القلب ليتقلب ؟ قال « نعم ماخلق الله من بنى آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » فنسأل الله ربنا أن لايزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب — وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى عن عبدالحميد بن بهرام به مثله ورواه أيضا عن المثنى عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن بهرام به مثله وزاد قلت يارسول الله ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى قال « بلى قولى اللهم رب محمد النبى اغفرلى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن » ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن هرون بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال أنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله أنا سعيد بن بشير عن قتادة عن حسان الأعرج عن عائشة رضى الله عنها قالت . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » قلت يارسول الله ما أكثر ماتدعو بهذا الدعاء فقال « ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذاشاء أن يزيغه أزاغه أما تسمعى قوله (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) » غريب من هذا الوجه ولكن أصله ثابت فى الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة ، وقد رواه أبو داود والنسائى وابن مردويه من حديث أبى عبد الرحمن المقبرى زاد النسائى وابن حبان وعبدالله بن وهب كلاهما عن سعيد ابن أبى أيوب حدثنى عبد الله بن الوليد التجيبى عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال « لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » لفظ ابن مردويه . وقال عبد الرزاق عن مالك عن أبى عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عبادة بن نسى أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول أخبرنى أبو عبد الله الصنابحى أنه صلى وراء أبى بكر الصديق رضى الله عنه المغرب فقرأ أبو بكر فى الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورتين من قصار المفصل وقرأ فى الركعة الثالثة قال فدنوت منه حتى إن ثيابى لتكاد تمس ثيابه فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية . قال أبو عبيد : وأخبرنى عبادة بن نسى أنه كان عند عمر بن عبد العزيز فى خلافته فقال عمر لقيس : كيف أخبرتنى عن أبى عبد الله قال عمر فما تركناها منذ سمعناها منه وان كنت قبل ذلك لعلى غير ذلك ، فقال له رجل على أى شىء كان أمير المؤمنين قبل ذلك قال كنت أقرأ (قل هو الله أحد) وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعى كلاهما عن أبى عبيد به وروى هذا الأثر الوليد أيضا عن ابن جابر عن يحيى بن يحيى الغسانى عن محمود بن لبيد عن الصنابحى أنه صلى خلف أبى بكر المغرب فقرأ فى الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة فلما قام إلى الثالثة ابتدأ القراءة فدنوت منه حتى ان ثيابى لتمس ثيابه فقرأ هذه الآية (ربنا لاتزغ قلوبنا) الآية

وقوله (ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه) أى يقولون فى دعائهم إنك ياربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه وتجزى كلا بعمله وما كان عليه فى الدنيا من خير وشر

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ * كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وليس ما أوتوه فى الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه كما قال تعالى (ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال ههنا(إن الذين كفروا) أى بآيات الله وكذبوا رسله وخالفوا كتابه ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار) أى حطبها الذى تسجر به وتوقد به كقوله (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية. قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى مريم حدثنا ابن لهيعة أخبرنى ابن الهاد عن هند بنت الحارث عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس قالت بينما نحن بمكة قام رسول الله ﷺ من الليل فنادى « هل بلغت اللهم هل بلغت » ثلاثا فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال نعم ثم أصبح فقال رسول الله ﷺ « ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر إلى مواطنه ، وليخوضن رجال البحار بالإسلام ،وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرؤونه ثم يقولون قرأنا وعلمنا فمن هذا الذى هو خير منا ، فهل فى أولئك من خير؟ » قالوا يا رسول الله فمن أولئك ؟ قال « أولئك منكم وهم وقود النار » وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبدالله ابن الهاد عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن شداد عن أم الفضل أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة فقال « هل بلغت » يقولها ثلاثا فقام عمر بن الخطاب وكان أواها فقال اللهم نعم وحرصت وجهدت ونصحت فاصبر ؛ فقال النبى ﷺ « ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه وليخوضن رجال البحار بالإسلام وليأتين على الناس زمان يقرؤون القرآن فيقرؤونه ويعلمونه فيقولون قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذى هو خير منا ؟ فما فى أولئك من خير » قالوا يارسول الله فمن أولئك قال « أولئك منكم أولئك هم وقود النار » ثم رواه من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه

وقوله تعالى (كدأب آل فرعون) قال الضحاك عن ابن عباس : كصنيع آل فرعون وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وأبى مالك والضحاك وغير واحد ، ومنهم من يقول : كسنة آل فرعون وكفعل آل فرعون وكشبه آل فرعون والألفاظ متقاربة والدأب بالتسكين والتحريك أيضاً كنهر ونهر هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة كما يقال لا يزال هذا دأبى ودأبك ، وقال امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تأسف(١) أسى وتجمل * كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

والمعنى كعادتك فى أم الحويرث حين أهلكت نفسك فى حبها وبكيت دارها ورسمها، والمعنى فى الآية أن الكافرين لا تغنى عنهم الأموال ولا الأولاد بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فما جاءوا به من آيات الله وحججه (والله شديد العقاب) أى شديد الأخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شىء بل هو الفعال لما يريد الذى قد غلب كل شىء لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾

(١) المحفوظ المشهور ، لا تهلك .

يقول تعالى قل يا محمد للكافرين ستغلبون أى فى الدنيا وتحشرون أى يوم القيامة إلى جهنم وبئس المهاد . وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار عن عاصم بن عمرو بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال « يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا » فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغمار لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله فى ذلك من قولهم (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد — إلى قوله — لعبرة لأولى الأبصار) وقد رواه محمد بن إسحق أيضا عن محمد بن أبى محمد عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه ، ولهذا قال تعالى (قد كان لكم آية) أى قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية أى دلالة على أن الله معز دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومعل أمره (فى فئتين) أى طائفتين (التقتا) أى للقتال (فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة) وهم مشركو قريش يوم بدر ، وقوله (يرونهم مثليهم رأى العين) قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم فى العدد رأى أعينهم أى جعل الله ذلك فيما رأوه سبباً لنصرة الإسلام عليهم ، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة وهى أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحزر لهم المسلمين فأخبرهم بأنهم ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، وهكذا كان الأمر . كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم (والقول الثانى) أن المعنى فى قوله تعالى (يرونهم مثليهم رأى العين) أى يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم أى ضعيفهم فى العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم ، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفى عن ابن عباس : أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس ، وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا ما بين تسعمائة إلى ألف كما رواه محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الأسود لبنى الحجاج عن عدة قريش قال : كثير قال « كم ينحرون كل يوم » ؟ قال يوما تسعا ويوما عشراً ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « القوم ما بين تسعمائة إلى ألف » . وروى أبو إسحق السبيعى عن جارية عن على رضى الله عنه قال : كانوا ألفاً ، وكذا قال ابن مسعود والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين ، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم ، لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحاً كما تقول عندى ألف وأنا محتاج إلى مثلها وتكون محتاجا إلى ثلاثة آلاف كذا قال ، وعلى هذا فلا إشكال لكن بقى سؤال آخر وهو وارد على القولين ، وهو أن يقال ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى قصة بدر (وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا) فالجواب أن هذا كان فى حالة والآخر كان فى حالة أخرى كما قال السدى عن الطيب عن ابن مسعود فى قوله تعالى (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا) الآية قال . هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود . وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحداً وذلك قوله تعالى (وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم) الآية : وقال أبو إسحق عن أبى عبدة عن عبد الله بن مسعود قال لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبى تراهم سبعين قال : أراهم مائة قال : فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم ؟ قال . ألفاً ، فعند ما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم أى أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء فى أعين هؤلاء وهؤلاء فى أعين هؤلاء ليقدم كل منهما على الآخر (ليقضى الله أمراً كان مفعولا) أى ليفرق بين الحق والباطل فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والطغيان ، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين ، كما قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وقال ههنا (والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) أى إن فى ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدى به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجارى بنصر عباده

المؤمنين فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

يخبر تعالى عما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » فأما إذا كان القصد بهن الاعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب فى التزويج والاستكثار منه وأن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء وقوله صلى الله عليه وسلم « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » وقوله فى الحديث الآخر « حبب إلىّ النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » . وقالت عائشة رضى الله عنها : لم يكن شىء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء إلا الخيل ، وفى رواية: من الخيل إلا النساء : وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل فى هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لاشريك له ، فهذا محمود(١) ممدوح كما ثبت فى الحديث « تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذ مذموم ، وتارة يكون للنفقة فى القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعاً . وقد اختلف المفسرون فى مقدار القنطار على أقوال وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره ، وقيل : ألف دينار ، وقيل ألف ومائتا دينار ، وقيل اثنا عشر ألفا ، وقيل أربعون ألفا ، وقيل ستون ألفا ، وقيل سبعون ألفا ، وقيل ثمانون ألفا وقيل غير ذلك : وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار اثنا عشر ألف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والأرض » وقد رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به ، وقد رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدى عن حماد بن سلمة(٢) عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح عن أبى هريرة موقوفا كرواية وكيع فى تفسيره حيث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبى صالح عن أبى هريرة قال « القنطار اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين السماء والأرض » وهذا أصح ، وهكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر ، وحكاه ابن أبى حاتم عن أبى هريرة وأبى الدرداء أنهم قالوا : القنطار ألف ومائتا أوقية ثم قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا زكريا ابن يحيى الضرير حدثنا شبابة حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية » وهذا حديث منكر أيضاً والأقرب أن يكون موقوفا على أبى بن كعب كغيره من الصحابة . وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذى عن محمد بن إبراهيم عن موسى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية إلى ألف أصبح له قنطار من الأجر عند الله القنطار منه مثل الجبل العظيم » ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه . وقال الحاكم فى مستدركه . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عيسى ابن زيد اللخمى حدثنا محمد بن عمرو بن أبى سلمة حدثنا زهير بن محمد حدثنا حميد الطويل ورجل آخر عن أنس بن مالك قال

(١) فى نسخة الأزهر محسود عليه (٢) وفيها ابن زيد كما فى تفسير ابن جرير .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (القناطير المقنطرة) ؟ قال . « القنطار ألفا أوقية » صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهكذا رواه الحاكم ، وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال، أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي أنبأنا عمرو بن أبي سلمة أنبأنا زهير يعني ابن محمد أنبأنا حميد الطويل ورجل آخر قد سماه يعني يزيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « قنطار يعني ألف دينار » وهكذا رواه الطبراني(١) عن عبد الله بن محمد ابن أبي مريم عن عمرو بن أبي سلمة فذكر بإسناد مثله سواء . وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسلا أو موقوفا عليه القنطار ألف ومائتا دينار ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك . من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار ، ومنهم من يقول . اثنا عشر ألفا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عارم عن حماد عن سعيد الحرسي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال القنطار ملء مسك الثور ذهبا، قال أبو محمد. ورواه محمد بن موسى الحرسي عن حماد ابن زيد مرفوعا ، والموقوف أصح

﴿ وحب الخيل على ثلاثة أقسام ﴾ تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون وتارة تربط فخرا ونواء لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الآية : وأما المسومة فعن ابن عباس رضى الله عنهما المسومة الراعية والمطهمة الحسان وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبزى والسدى والربيع بن أنس وأبي سنان وغيرهم: وقال مكحول . المسومة الغرة والتحجيل وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد . حدثنا يحي بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه أو أحب أهله وماله إليه » وقوله تعالى (والأنعام) يعني الابل والبقر والغنم (والحرث) يعني الأرض المتخذة للغراس والزراعة : وقال الإمام أحمد . حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعامة العدوي عن مسلم ابن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » المأبورة الكثيرة النسل ، والسكة النخل المصطف والمأبورة الملقحة

ثم قال تعالى (ذلك متاع الحياة الدنيا) أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة (والله عنده حسن المآب) أي حسن المرجع والثواب

وقد قال ابن جرير . حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال : قال عمر بن الخطاب لما نزلت (زين للناس حب الشهوات) قلت. الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) أي قل يا محمد للناس أؤخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (خالدين فيها) أي ماكثين فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولا ، (وأزواج مطهرة) أي من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا (ورضوان من الله) أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التي في براءة (ورضوان من الله أكبر) أي أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال تعالى (والله بصير بالعباد) أي يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾

(١) وفي نسخة الأزهر ابن مردويه عن الطبراني

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى (الذين يقولون ربنا إننا آمنا) أى بك وبكتابك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أى بإيماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا[1] بفضلك ورحمتك (وقنا عذاب النار) ثم قال تعالى (الصابرين) أى فى قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات (والصادقين) فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة (والقانتين) والقنوت الطاعة والخضوع (والمنفقين) أى من أموالهم فى جميع ما أمروا به من الطاعات ، وصلة الأرحام والقرابات ، وسد الخلات ، ومواساة ذوى الحاجات (والمستغفرين بالأسحار) دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار ، وقد قيل : إن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) إنه أخرهم إلى وقت السحر . وثبت فى الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله تبارك وتعالى فى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ » الحديث وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطنى فى ذلك جزءا على حدة فرواه من طرق متعددة . وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وآخره فانتهى وتره إلى السحر. وكان عبد الله بن عمر يصلى من الليل ثم يقول : يانافع هل جاء السحر ؟ فإذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح ، رواه ابن أبى حاتم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن حريث بن أبى مطر عن إبراهيم ابن حاطب عن أبيه قال : سمعت رجلا فى السحر فى ناحية المسجد وهو يقول : يارب أمرتنى فأطعتك وهذا السحر فاغفر لى . فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضى الله عنه . وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر فى آخر السحر سبعين مرة

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين (أنه لا إله إلا هو) أى المنفرد بالالهية لجميع الخلائق وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء اليه وهو الغنى عما سواه كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته فقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) وهذه خصوصية عظيمة للعلماء فى هذا المقام (قائما بالقسط) منصوب على الحال وهو فى جميع الأحوال كذلك (لا إله إلا هو) تأكيد لما سبق (العزيز الحكيم) العزيز الذى لا يرام جنابه عظمة وكبرياء ، الحكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثنى جبير بن عمرو القرشى حدثنا أبو سعيد الأنصارى عن أبى يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وأنا على ذلك من الشاهدين يارب وقد رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر فقال حدثنا على بن حسين حدثنا محمد بن المتوكل العسقلانى حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصارى حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير قال سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) قال قال « وأنا أشهد أى رب » وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا عبدان بن أحمد وعلى بن سعيد

(١) كذا وإنما يقال قصر فى الأمر وقصر عن فلان أو عن الغاية والمنزلة .

الرازى قالا حدثنا عمار بن عمر المختار حدثنى أبى حدثنى غالب القطان قال : أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام) ثم قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة (إن الدين عند الله الإسلام) فالها مرارا ، قلت : لقد سمع فيها شيئا فغدوت اليه فودعته ثم قلت يا أبا محمد إنى سمعتك ترددهذه الآية ، قال : أوما بلغك مافيها قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثنى قال : والله لا أحدثك بها إلى سنة فأقمت سنة فكنت على بابه فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال : حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل عبدى عهد إلىّ وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة » وقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) إخبار منه تعالى بأنه لادين عنده يقبله من أحد سوى الاسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق اليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن لقى الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) الآية . وقال فى هذه الآية مخبرا بانحصار الدين المتقبل منه عنده فى الاسلام (إن الدين عند الله الإسلام) . وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ (شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام) بكسر إنه وفتح أن الدين عند الله الاسلام أى شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الاسلام ، والجمهور قرءوها بالكسر على الخبر وكلا المعنيين صحيح ، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر والله أعلم ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ماقامت عليهم الحجة بإرسال الرسل اليهم وإنزال الكتب عليهم فقال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى بغى بعضهم على بعض فاختلفوا فى الحق تحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته فى جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا ، ثم قال تعالى (ومن يكفر بآيات الله) أى من جحد ما أنزل الله فى كتابه (فإن الله سريع الحساب) أى فان الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه

ثم قال تعالى (فإن حاجوك) أى جادلوك فى التوحيد (فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن) أى فقل أخلصت عبادتى لله وحده لاشريك له ولا ند له ولا ولد له ولا صاحبة له (ومن اتبعن) أى على دينى يقول كمقالتى كما قال تعالى (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) الآية ثم قال تعالى آمرا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول فى شرعه وما بعثه الله به . الكتابيين من الملليين والأميين من المشركين فقال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) أى والله عليه حسابهم واليه مرجعهم ومآبهم وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى (والله بصير بالعباد) أى هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وما ذلك إلا لحكمته ورحمته ، وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة فى غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) وقال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) . وفى الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بنى آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأميهم امتثالا لأمر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار » رواه مسلم . وقال ﷺ « بعثت إلى الأحمر والأسود » وقال « كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه : أن غلاما يهوديا كان يضع للنبى ﷺ وضوءه ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبى ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبى ﷺ « يافلان قل لا إله إلا الله » فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبى ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه : أطع أبا القاسم . فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فخرج النبى ﷺ وهو يقول «الحمد لله الذى أخرجه بى من النار » رواه البخارى فى الصحيح ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم فى تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثا التى بلغتهم إياها الرسل استكباراً عليهم وعناداً لهم وتعاظما على الحق واستنكافا عن اتباعه ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم اليهم إلا لكونهم دعوهم إلى الحق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) وهذا هو غاية الكبر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «الكبر بطر الحق وغمط الناس». وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن على بن مسلم النيسابورى نزيل مكة حدثنى أبو حفص عمر بن حفص يعنى ابن ثابت بن زرارة الأنصارى حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبنى أسد عن مكحول عن أبى قبيصة بن ذئب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة ؟ قال « رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) الآية ثم قال رسول الله ﷺ « يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم ، فهم الذين ذكر الله عزوجل » وهكذا رواه ابن جرير عن أبى عبيد الوصابى محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبى الحسن مولى بنى أسد عن مكحول به ، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار وأقاموا سوق بقلهم من آخره ، رواه ابن أبى حاتم . ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار فى الدنيا والعذاب المهين فى الآخرة فقال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) أى موجع مهين (أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ * فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابهم اللذين بأيديهم وهم التوراة والانجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى مافيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنهما ، وهذا فى غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد ثم قال تعالى (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) أى إنما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون فى النار سبعة أيام عن كل ألف سنة فى الدنيا يوما ، وقد تقدم تفسير ذلك فى سورة البقرة . ثم قال تعالى (وغرهم فى

دينهم ما كانوا يفترون) أى ثبتهم على دينهم الباطل ماخدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لاتمسهم بذنوبهم إلا أياما معدودات وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانا ، قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا (فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) أى كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والله تعالى سائلهم عن ذلك كله وحاكم عليهم ومجازيهم به ، ولهذا قال تعالى (فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) أى لاشك فى وقوعه وكونه (ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون)

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى (قل) يامحمد معظما لربك وشاكراً له ومفوضاً اليه ومتوكلا عليه (اللهم مالك الملك) أى لك الملك كله (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) أى أنت المعطى وأنت المانع وأنت الذى ما شئت كان ومالم تشأ لم يكن . وفى هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بنى إسرائيل إلى النبى العربى القرشى الأمى المكى خاتم الأنبياء على الاطلاق ، ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن ، الذى جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولا من الرسل فى العلم بالله وشريعته واطلاعه على الغيوب الماضية والآتية وكشفه له عن حقائق الآخرة ونشر أمته فى الآفاق فى مشارق الأرض ومغاربها وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار ، ولهذا قال تعالى (قل اللهم مالك الملك) الآية أى أنت المتصرف فى خلقك الفعال لما تريد كما رد تعالى على من يحكم[1] عليه فى أمره حيث قال (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله رداً عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) الآية أى نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة التامة فى ذلك وهكذا يعطى النبوة لمن يريد كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الآية[2] وقد روى الحافظ بن عساكر فى ترجمة إسحق ابن أحمد من تاريخه عن المأمون الخليفة أنه رأى فى قصر ببلاد الروم مكتوبا بالحميرية فعرب له فإذا هو باسم الله ما اختلف الليل والنهار ولادارت نجوم السماء فى الفلك إلا بنقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك . وملك ذى العرش دائم أبداً ليس بفان ولا بمشترك ، وقوله تعالى (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) أى تأخذ من طول هذا فتزيده فى قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من هذا فى هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان ، وهكذا فى فصول السنة ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاء ، وقوله تعالى (وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) أى تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة ، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء (وترزق من تشاء بغير حساب) أى تعطى من شئت من المال مالا يعده ولا يقدر على إحصائه وتقتر على آخرين لمالك فى ذلك من الحكمة والارادة والمشيئة قال الطبرانى : حدثنا محمد بن زكريا العلائى حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد حدثنا أبى عن عمر بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى هذه الآية من آل عمران (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) »

(١) وفى نسخة الأزهر يتحكم (٢) قوله وقد روى الحافظ ابن عساكر الى بمشترك — سقط من النسخة الأميرية فنقلت من نسخة الأزهر .

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾

نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) أى ومن يرتكب نهى الله فى هذا فقد برئ من الله كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة — إلى أن قال — ومن يفعله منكم فقد ضل سواء سبيل) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الآية . وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) وقوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أى إلا من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما قال البخارى عن أبى الدرداء إنه قال : «إنا لنكشر فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم» . وقال الثورى : قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ، وكذا رواه العوفى عن ابن عباس إنما التقية باللسان ، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس . ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية . وقال البخارى : قال الحسن التقية إلى يوم القيامة ، ثم قال تعالى (ويحذركم الله نفسه) أى يحذركم نقمته فى مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه . ثم قال تعالى (وإلى الله المصير) أى إليه المرجع والمنقلب ليجازى كل عامل بعمله . قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبى حسين عن عبد الرحمن بن سابط عن ميمون بن مهران قال : قام فينا معاذ فقال : يا بنى أود إنى رسول رسول الله إليكم تعلمون أن المعاد إلى الله[1] إلى الجنة أو إلى النار

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنه لا يخفى عليه منهم خافية بل علمه محيط بهم فى سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات وجميع ما فى الأرض والسموات لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك فى جميع أقطار الأرض والبحار والجبال (والله على كل شىء قدير) أى وقدرته نافذة فى جميع ذلك ، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم فانه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة وإن أنظر من أنظر منهم فانه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعد هذا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية يعنى يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) فما رأى من أعماله حسنا سره ذلك وأفرحه ، وما رأى من قبيح ساءه وغصه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد ، كما يقول لشيطانه الذى كان مقرونا[2] به فى الدنيا وهو الذى جرأه على فعل السوء (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) ثم قال تعالى مؤكدا ومهدداً ومتوعداً (ويحذركم الله نفسه) أى يخوفكم عقابه ثم قال جل جلاله مرجيا لعباده لئلا ييئسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه (والله رءوف بالعباد) قال الحسن البصرى من رأفته

(١) وفى نسخة الأزهر أن المعاد إلى الجنة أو إلى النار (١) وفى نسخة الأزهر مقترنا .

بهم حذرهم نفسه وقال غيره . أى رحيم بخلقه يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ولهذا قال (إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) أى يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء . ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب . وقال الحسن البصرى وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا عبد الله ابن موسى بن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبى كثير عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « وهل الدين إلا الحب فى الله والبغض فى الله ؟ قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى) » وقال أبو زرعة عبد الأعلى : هذا منكر الحديث

ثم قال تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) أى باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته ثم قال تعالى آمراً لكل أحد من خاص وعام (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) أى تخالفوا عن أمره (فإن الله لا يحب الكافرين) فدل على أن مخالفته فى الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم فى نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبى الأمى خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذى لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم فى زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول فى طاعته واتباع شريعته كما سيأتى تقريره عند قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) الآية إن شاء الله تعالى

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شىء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له فى ذلك من الحكمة واصطفى نوحا عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وانتقم له لما طالت مدته بين ظهرانى قومه يدعوهم إلى الله ليلا ونهاراً ، سراً وجهاراً ، فلم يزدهم ذلك إلا فراراً ، فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذى بعثه الله به واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى بن مريم عليه السلام . قال محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله — هو عمران بن ياشم[1] بن ميشا بن حزقيا بن إبراهيم ابن غرايا بن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن اياذ بن رخيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ، فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتى بيانه فى سورة الانعام إن شاء الله تعالى وبه الثقة

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

(١) زاد فى نسخة الأزهر بن أمون

امرأة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت فاقوذ . قال محمد بن إسحق : وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوما طائراً يزق فرخه فاشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولدا فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محرراً أي خالصا مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت : يا رب (إني نذرت لك ما بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) أي السميع لدعائي العليم بنيتي ، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرا أم أنثى (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها ، وقرىء بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل (وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكي مقررا وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم » أخرجاه ، وكذلك ثبت فيهما أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه عبد الله : وفي صحيح البخاري : أن رجلا قال : يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فما أسميه ؟ قال « سم ابنك عبد الرحمن » وثبت في الصحيح أيضا . أنه لما جاءه أبو أسيد بابنه ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرد إلى منزلهم فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس سماه المنذر . فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل غلام مرتهن[1] بعقيقته يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه » فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وروى ويدمى وهو أثبت وأحفظ والله أعلم . وكذا مارواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن ولده إبراهيم وسماه إبراهيم ، فإسناده لا يثبت وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لحمل على أنه اشتهر[2] اسمه بذلك يومئذ والله أعلم ، وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه إياه إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه وروى من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة ، ورواه ابن وهب أيضا عن ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة ورواه محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث ، وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال : قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن بالحجاب »

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتا حسنا أي جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قال (وكفلها زكريا) بتشديد الفاء ونصب زكريا

(١) في النسخة الأميرية « رهين » وفي نسخة الأزهر « رهينة » وهذه رواية ولفظ الترمذي مرتهن (٢) وفي نسخة الأزهر أشهر

على المفعولية أى جعله كافلا لها . قال ابن إسحق : وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره أن بنى إسرائيل أصابتهم سنة جدب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم . وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا ، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما ؛ وقيل زوج أختها كما ورد فى الصحيح «فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة» وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك أيضا توسعا فعلى هذا كانت فى حضانة خالتها : وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى عمارة[1] بنت حمزة أن تكون فى حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبى طالب وقال. «الخالة بمنزلة الأم » ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها فى محل عبادتها فقال (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وابراهيم النخعى والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفى والسدى يعنى وجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف وعن مجاهد (وجد عندها رزقا) أى علما ، أوقال .صحفا فيها علم ، رواه ابن أبى حاتم والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء .وفى السنة لهذا نظائر كثيرة ، فاذا رأى زكريا هذا عندها (قال يا مريم أنى لك هذا) أى يقول من أين لك هذا ؟ (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبد الله ابن صالح حدثنا عبد الله بن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً فأتى فاطمة فقال « يا بنية هل عندك شىء آكله فانى جائع ؟ » قالت . لا والله ـ بأبى أنت وأمى ـ فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها وقالت . والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى ، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت : بأبى أنت وأمى قد أتى الله بشىء فخبأته لك قال « هلمى يا بنية » قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فاذا هى مملوءة خبزاً ولحما فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال«من أين لك هذا يابنية » ؟ قالت . يا أبت (هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال«الحمد لله الذى جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل فانها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » فبعث رسول الله ﷺ إلى على ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل على وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبى ﷺ وأهل بيته حتى شبعوا جميعا قالت : وبقيت الجفنة كما هى قالت . فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيراً .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء طمع حينئذ فى الولد وإن كان شيخا كبيرا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا وقال (رب هب لى من لدنك) أى من عندك (ذرية طيبة) أى ولدا صالحا (إنك سميع الدعاء) . قال الله تعالى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب) أى خاطبته الملائكة شفاها

(١) فى النسخة الأميرية عمرة وهى غلط فاعتمدنا نسخة الأزهر وهى احدى الروايتين فى اسمها والرواية الأخرى أمامة .

خطاباً أسمعته وهو قائم يصلى فى محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته . ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة (أن الله يبشرك بيحيى) أى بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى . قال قتادة وغيره : إنما سمى يحيى لأن الله أحياه بالإيمان . وقوله (مصدقاً بكلمة من الله) (١) روى العوفى وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدى والربيع بن أنس والضحاك وغيره فى هذه الآية (مصدقاً بكلمة من الله) أى بعيسى بن مريم . وقال الربيع بن أنس : هو أول من صدق بعيسى بن مريم . وقال قتادة : وعلى سنته ومنهاجه . وقال ابن جريج : قال ابن عباس فى قوله مصدقاً بكلمة من الله قال : كان يحيى وعيسى ابنى خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم : إنى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك فذلك تصديقه له فى بطن أمه وهو أول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام وهكذا قال السدى أيضا

وقوله (وسيداً) قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحليم ، وقال قتادة : سيداً فى العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثورى والضحاك السيد الحليم التقى : قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم ، وقال عطية : السيد فى خلقه ودينه ، وقال عكرمة : هو الذى لا يغلبه الغضب وقال ابن زيد : هو الشريف ، وقال مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل .

وقوله (وحصوراً) روى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى الشعثاء وعطية العوفى أنهم قالوا : الذى لا يأتى النساء . وعن أبى العالية والربيع بن أنس : هو الذى لا يولد له ولا ماء له . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فى الحصور : الذى لا ينزل الماء ، وقد روى ابن أبى حاتم فى هذا حديثا غريبا جداً فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادى حدثنى سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعنى ابن العوام عن يحيى بن سعيد عن المسيب عن ابن العاص ـ لا يدرى عبد الله أو عمرو ـ عن النبى ﷺ فى قوله (وسيداً وحصوراً) قال : ثم تناول شيئا من الأرض فقال « كان ذكره مثل هذا » . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصارى أنه سمع سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد (وسيداً وحصوراً) ثم أخذ شيئا من الأرض فقال : الحصور من كان ذكره مثل ذا ، وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع ورواه ابن المنذر فى تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمنانى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على بن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يلقى الله إلا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول (وسيداً وحصوراً) ـ قال ـ : وإنما ذكره مثل هدبة الثوب » وأشار بأنملته ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عيسى ابن حماد ومحمد بن سلمة المرادى قالا : حدثنا حجاج بن سليمان المقرى عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « كل ابن آدم يلقى الله بذنب يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » ثم أهوى النبى ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : « وكان ذكره مثل هذه القذاة »

وقد قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء : اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان (حصوراً) ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوبا أولا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أى لا يأتيها كأنه حصور عنها ، وقيل : مانع نفسه من الشهوات ، وقيل ليست له شهوة فى النساء وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل فى كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هى فى حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه : درجة عليا وهى درجة نبينا ﷺ الذى لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه ، بل زاده

(١) قوله روى العوفى إلى قوله (مصدقا بكلمة من الله) ساقط من النسخة الأميرية .

ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال : «حبب إلىّ من دنياكم» هذا لفظه . والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتى النساء ، بل معناه كما قاله هو وغيره : أنه معصوم من الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : (هب لى من لدنك ذرية طيبة) كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله (ونبياً من الصالحين) هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهى أعلى من الأولى كقوله لأم موسى (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال) أى الملك (كذلك الله يفعل مايشاء) أى هكذا أمر الله عظيم لايعجزه شىء ولا يتعاظمه أمر (قال رب اجعل آية) أى علامة أستدل بها على وجود الولد منى (قال آيتك ألا تكلم ثلاثة أيام إلا رمزا) أى إشارة لاتستطيع النطق مع أنك سوى صحيح كما فى قوله (ثلاث ليال سويا) ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح فى هذه الحال فقال تعالى (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار) . وسيأتى طرف آخر فى بسط هذا المقام فى أول سورة مريم إن شاء الله تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَٰلَمِينَ : يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ * ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاها أى اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين . قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب فى قوله تعالى (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) قال كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده ، ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط » ولم يخرجه من هذا الوجه سوى مسلم فانه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد[1] كلاهما عن عبد الرزاق به وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أخرجاه فى الصحيحين من حديث هشام به مثله . وقال الترمذى : حدثنا أبو بكر بن زنجويه حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون » تفرد به الترمذى وصححه . وقال عبد الله بن أبى جعفر الرازى عن أبيه قال : كان ثابت البنانى يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير نساء العالمين أربع ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله » رواه ابن مردويه أيضاً ، ومن طريق شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . وقال ابن جرير : حدثنى المثنى حدثنا آدم العسقلانى حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمدانى يحدث عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون » وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة به ، ولفظ البخارى « ويكمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية

(١) فى نسخة الأزهر وابن عبد الحميد .

امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة عن النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه فى قصة عيسى بن مريم عليه السلام فى كتابنا البداية والنهاية ولله الحمد والمنة ، ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب فى العمل لما يريد الله بها من الأمر الذى قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها ورفعة فى الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولداً من غير أب فقال تعالى (يا مريم اقنتى لربك واسجدى وركعى مع الراكعين) أما القنوت فهو الطاعة فى خشوع كما قال تعالى (وله من فى السموات والأرض كل له قانتون) وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال « كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة عن دراج به وفيه نكارة . وقال مجاهد كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها ، والقنوت هو طول الركوع فى الصلاة يعنى امتثالا لقول الله تعالى (يا مريم اقنتى لربك) قال الحسن . يعنى اعبدى لربك (واسجدى واركعى مع الراكعين) أى كونى منهم وقال الأوزاعى . ركدت فى محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل ماء الأصفر فى قدميها رضى الله عنها وأرضاها . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[1] فى ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمى وفيه مقال : ثنا على بن بحر بن برى ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير فى قوله (يا مريم اقنتى لربك واسجدى) قال سجدت حتى نزل الماء الأصفر فى عينيها . وذكر ابن أبى الدنيا ثنا الحسن ابن عبد العزيز ثنا ضمرة عن أبى شوذب قال كانت مريم عليها السلام تغتسل فى كل ليلة . ثم قال لرسوله بعد ما أطلعه على جلية الأمر (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) أى نقصه عليك (وما كنت لديهم) أى ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا فى شأن مريم أيهم يكلفها وذلك لرغبتهم فى الأجر . قال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة أنه أخبره عن عكرمة ، وأبى بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعنى[2] مريم فى خرقها إلى بنى الكاهن بن هرون أخى موسى عليهما السلام قال : وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فانى حررتها وهى أنثى ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردها إلى بيتى فقالوا : هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم فى الصلاة ، وصاحب قرباننا فقال زكريا . ادفعوها لى فان خالتها تحتى فقالوا : لا تطيب أنفسنا هى ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التى يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضا والسدى وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم فى بعض . أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأيهم يثبت فى جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فانه ثبت ، ويقال : إنه ذهب صاعدا يشق جرية الماء ، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير قال الله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) أى بولد يكون وجوده بكلمة من الله أى يقول له كن فيكون ، وهذا تفسير قوله (مصدقا بكلمة من الله) كما ذكره الجمهور على ما سبق بيانه (اسمه المسيح عيسى ابن مريم) أى يكون هذا مشهوراً فى الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك وسمى المسيح قال بعض السلف : لكثرة سياحته . وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما

(١) قوله وقد ذكر الحافظ الخ سقط من الأميرية فنقلناه من نسخة الأزهر (٢) وفى نسخة الأزهر أم مريم بمريم تحملها .

وقيل لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوى العاهات برئ بإذن الله تعالى وقوله تعالى : (عيسى ابن مريم) نسبة إلى أمه حيث لا أب له (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) أى له وجاهة ومكانة عند الله فى الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به ، وفى الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وقوله (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) أى يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له فى حال صغره ، معجزة وآية ، وفى حال كهولته حين يوحى الله إليه (ومن الصالحين) أى فى قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح . قال محمد بن إسحق : عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن محمد ابن شرحبيل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتكلم أحد[1] فى صغره إلا عيسى وصاحب جريج » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين يعنى المروزى حدثنا جرير يعنى ابن أبى حازم عن محمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاث ، عيسى وصبى كان فى زمن جريج وصبى آخر » فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل قالت فى مناجاتها : (رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟) تقول كيف يوجد هذا الولد منى وأنا لست بذات زوج ولا من عزمى أن أتزوج ولست بغيا حاشا لله فقال لها الملك عن الله عز وجل فى جواب ذلك السؤال (كذلك الله يخلق من يشاء) أى هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شىء ، وصرح ههنا بقوله (يخلق ما يشاء) ولم يقل يفعل كما فى قصة زكريا ، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله (إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أى إنما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشىء سريعا كلمح البصر

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام . إن الله يعلمه الكتاب والحكمة ، الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة ، والحكمة تقدم تفسيرها فى سورة البقرة ، والتوراة والإنجيل فالتوراة هو الكتاب الذى أنزل على موسى بن عمران ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام . وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا وقوله (ورسولا إلى بنى إسرائيل) قائلا لهم (أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله) وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وأبرىء الأكمه) قيل إنه الذى يبصر نهارا ولا يبصر ليلا ، وقيل بالعكس ، وقيل الأعشى ، وقيل الأعمش ، وقيل هو الذى يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ فى المعجزة وأقوى فى التحدى (والأبرص) معروف (وأحيي الموتى بإذن الله) قال كثير من العلماء بعث الله كل نبى من الأنبياء بما يناسب[2] أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للاسلام وصاروا من عباد الله الأبرار . وأما عيسى

(١) فى نسخة الأزهر مولود . (٢) وفيها بمعجزة تناسب .

عليه السلام فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بمالا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذى شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد . وكذلك محمد ﷺ بعث فى زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وماذاك إلا أن كلام الرب عز جل لا يشبه كلام الخلق أبدا ، وقوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) أى أخبركم بما أكل أحدكم الآن وماهو مدخر له فى بيته لغد (إن فى ذلك) أى فى ذلك كله (لآية لكم) أى على صدقى فيما جئتكم به (إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة) أى مقرراً لها ومثبتا (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة .وهو الصحيح من القولين ، ومن العلماء من قال لم ينسخ منها شيئاً ، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء[1] فى ذلك كما قال فى الآية الأخرى (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) والله أعلم . ثم قال (وجئتكم بآية من ربكم) أى بحجة ودلالة على صدقى فيما أقوله لكم (فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربى وربكم فاعبدوه) أى أنا وأنتم سواء فى العبودية له والخضوع والاستكانة إليه (هذا صراط مستقيم)

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

يقول تعالى (فلما أحسن عيسى) أى استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال (من أنصارى إلى الله ؟) قال مجاهد : أى من يتبعنى إلى الله ، وقال سفيان الثورى وغيره : أى من أنصارى مع الله ، وقول مجاهد أقرب . والظاهر أنه أراد من أنصارى فى الدعوة إلى الله كما كان النبى ﷺ يقول فى مواسم الحج قبل أن يهاجر « من رجل يؤوينى حتى أبلغ كلام ربى فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى » حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رضى الله عنهم وأرضاهم . وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بنى إسرائيل فآمنوا به ووازروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، ولهذا قال الله تعالى مخبر عنهم (قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الحواريون قيل : كانوا قصارين ، وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم ، وقيل صيادين . والصحيح أن الحوارى الناصر كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رضى الله عنه فقال النبى ﷺ « لكل نبى حوارى وحوارى الزبير » وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) قال . مع أمة محمد ﷺ ، وهذا إسناد جيد . ثم قال تعالى مخبرا عن ملإ بنى إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام وإرادته بالسوء والصلب حين تمالؤا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافراً أن هنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا ، ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه فى رقابهم ورموه به من الكذب وأنه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث فى طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده فى المنزل فلما دخل أولئك اعتقدوه فى ظلمة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم فانه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم

(١) فى نسخة الأزهر فأخطأوا فكشف لهم عن المغطى .

وتركهم فى ضلالهم يعمهون يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم وأسكن الله فى قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازمالهم وأورثهم ذلة لاتفارقهم إلى يوم التناد ولهذا قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾

اختلف المفسرون فى قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) فقال قتادة وغيره . هذا من المقدم والمؤخر تقديره إنى رافعك إلى ومتوفيك يعنى بعد ذلك . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس . إنى متوفيك أى ممتك . وقال محمد ابن إسحق عمن لايتهم عن وهب بن منبه قال . توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . قال ابن إسحق والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه قال إسحق بن بشر عن إدريس عن وهب : أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه ، قال مطر الوراق . إنى متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير توفيه هو رفعه : وقال الأكثرون . المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الآية . وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) الآية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم . « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا » الحديث وقال تعالى : (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم — إلى قوله — وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) والضمير فى قوله قبل موته عائد على عيسى عليه السلام أى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتى بيانه فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولايقبل إلا الإسلام . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال فى قوله تعالى (إنى متوفيك) يعنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه قال الحسن : قال رسول الله ﷺ لليهود « إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة » وقوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) أى برفعى إياك إلى السماء (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) وهكذا وقع فان المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعا بعده فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته . ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله ، وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة . وقد حكى الله مقالتهم فى القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثلثمائة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل فى دين النصرانية قيل حيلة ليفسده فانه كان فيلسوفا ، وقيل جهلا منه الا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التى هى الخيانة الحقيرة ، وأحل فى زمانه لحم الخنزير ، وصلوا له إلى المشرق ، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع ، وزاد فى صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارت مايزيد على اثنى عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم فى هذا كله قاهرون لليهود أيده الله عليهم لأنه أقرب إلى الحق منهم ، وان كان الجميع كفارا عليهم لعائن الله ، فلما بعث الله محمداً ﷺ فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق ، فكانوا هم أتباع كل نبى على وجه الأرض ، إذ قد صدقوا الرسول النبى الأمى

العربى خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الاطلاق الذى دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبى من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شىء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذى لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة ولا يزال قائماً منصوراً ظاهرا على كل دين فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما وأنفقت فى سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل فى قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً) الآية فلهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقا سلبوا النصارى بلاد الشام وألجؤهم إلى الروم فلجؤا إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الاسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون مافيهامن الأموال ، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جدا لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها ، وقدجمعت فى هذا جزءا مفردا ، ولهذا قال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون * فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصارى عذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى وأخذ الأموال وإزالة الأيدى عن الممالك وفى الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق (وما لهم من الله من واق) (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) أى فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا بالنصر والظفر ، وفى الآخرة بالجنات العاليات (والله لا يحب الظالمين)

ثم قال تعالى (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) أى هذا الذى قصصنا عليك يامحمد فى أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى وأوحاه اليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مرية فيه ولا شك كما قال تعالى فى سورة مريم (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) وههنا قال تعالى

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

يقول جل وعلا (إن مثل عيسى عند الله) فى قدرة الله حيث خلقه(١) من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه من غير أب ولا أم بل (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فالذى خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى ، وإن جاز ادعاء البنوة فى عيسى لكونه مخلوقا من غير أب فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه فى عيسى أشد بطلانا وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى فى سورة مريم (ولنجعله آية للناس) وقال ههنا (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) أى هذا هو القول الحق فى عيسى الذى لا محيد عنه ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال . ثم قال تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من عاند الحق فى أمر عيسى بعد ظهور البيان (فمن حاجك فيه

(١) فى نسخة الأزهر فإن الله تعالى .

من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناء وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى نحضرهم فى حال المباهلة (ثم نبتهل) أى نلتعن (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أى منا ومنكم .

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا فى وفد نجران : أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون فى عيسى ويزعمون فيه مايزعمون من البنوة والالهية فأنزل الله صدر هذه السورة رداً عليهم كما ذكره الإمام محمد بن إسحق بن يسار وغيره : قال ابن إسحق فى سيرته المشهورة وغيره وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم يؤول أمرهم اليهم وهم : العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد وابناه وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبدالله ، ومحسن ، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذى لايصدرون إلا عن رأيه ، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارستهم ، وكان رجلا من العرب من بنى بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته فى دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة ، ولكن حمله ذلك(١) على الاستمرار فى النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها . قال ابن إسحق . وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال . قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجال بنى الحارث ابن كعب قال: يقول من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله فقال رسول الله ﷺ « دعوهم » فصلوا إلى المشرق قال : فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ، ويقولون هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا . وكذلك النصرانية فهم يحتجون فى قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، وذلك كله بأمر الله . وليجعله الله آية للناس ، ويحتجون فى قولهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم فى المهد بشىء لم يصنعه أحد من بنى آدم قبله ، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ماقال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ـ تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا ـ وفى كل ذلك من قولهم : قد نزل القرآن ، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول صلى الله عليه وسلم « أسلما » قالا قد أسلمنا قال « إنكما لم تسلما فأسلما » قالا : بلى قد أسلمنا قبلك قال: « كذبتما يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير » قالا . فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما فأنزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ثم تكلم ابن إسحق على تفسيرها إلى أن قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا . ياعبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال . والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمداً لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم . ولقد علمتم أنه مالاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وانه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فان كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فأتوا النبى ﷺ فقالوا ياأبا القاسم قد رأينا ان لانلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها فى أموالنا فانكم عندنا رضا ، قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ « ائتونى العشية

(١) فى نسخة الأزهر احتمله جهله .

أبعث معكم القوى الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه» قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضى الله عنه . وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج : أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ فذكر نحوه إلا أنه قال فى الأشراف كانوا اثنى عشر ، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزيادات أخر .

وقال البخارى : حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبى إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا : إنا نعطيك ماسألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال « لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين » فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قم يا أبا عبيدة بن الجراح » فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا أمين هذه الأمة » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبى إسحق عن صلة عن حذيفة بنحوه وقد رواه أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبى إسحق عن صلة عن ابن مسعود بنحوه . وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد عن أبى قلابة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . وقال الإمام أحمد . حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقى أبو يزيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل قبحه الله إن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته[1] قال : فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » وقد رواه البخارى والترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به ، وقال الترمذى : حسن صحيح

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جداً ، ولنذكره فان فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام قال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس — وكان نصرانيا فأسلم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان « باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم [2] فانى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . أما بعد فانى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام» . فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعراً شديداً وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لى فى أمر النبوة رأى ولو كان فى أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيى واجتهدت لك فقال الأسقف : تنح فاجلس فتنحى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل فقال له الأسقف . تنح فاجلس فتنحى عبد الله فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب أحد بنى الحماس فأقرأه

(١) فى نسخة الأزهر عنقه وهو لفظ البخارى (٢) فيها زيادة (أنتم) وليس فيها بياض كالأميرية .

الكتاب وسأله عن الرأى فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبدالله فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح فى الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران فى الصوامع فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادى أعلاه وأسفله . وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأى فيه فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمدانى وعبد الله بن شرحبيل الأصبحى وجبار بن فيض الحارثى فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما فى ناس من المهاجرين والأنصار فى مجلس فقالوا ياعثمان وياعبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتابا فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأى منكما أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم : ماترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم ؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون اليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال « والذى بعثنى بالحق لقد أتونى المرة الأولى وإن إبليس لمعهم» ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسئلة حتى قالوا له : ماتقول فى عيسى فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ماتقول فيه ؟ فقال رسول الله ﷺ « ماعندى فيه شىء يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لى ربى فى عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم — إلى قوله — الكاذبين) فأبوا أن يقروا بذلك فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميل له وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد علمتما أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيى وإنى والله أرى أمرا ثقيلا والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طعنا فى عينيه وردا عليه أمره لايذهب لنا من صدره ولامن صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة وإنا لأدنى العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعناه لايبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحباه . فما الرأى يا أبامريم ؟ فقال : أرى أن أحكمه فإنى أرى رجلا لايحكم شططا أبدا فقالا له : أنت وذاك قال : فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال له : إنى قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال « وماهو ؟ » فقال : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله ﷺ «لعل وراءك أحدا يثرب عليك » ؟ فقال شرحبيل . سل صاحبى فسألهما فقالا : مايرد الوادى ولايصدر إلا عن رأى شرحبيل . فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبى محمد[1] رسول الله لنجران — إن كان عليهم حكمه — فى كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفى حلة ، فى كل رجب ألف حلة وفى كل صفر ألف حلة » وذكر تمام الشروط وبقية السياق

والغرض أن وفودهم كان فى سنة تسع لأن الزهرى قال : كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهى قوله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية وقال أبوبكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكى حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن جابر قال : قدم على النبى ﷺ العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة قال : فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى بعثنى بالحق لو قالا :

(١) فى نسخة الأزهر تقديم محمد على النبى .

لا لأمطر عليهم الوادى ناراً » قال جابر : وفيهم نزلت (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قال جابر (أنفسنا وأنفسكم) رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب (وأبناءنا) الحسن والحسين (ونساءنا)فاطمة وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه عن على بن عيسى عن أحمد بن محمد الأزهرى عن على بن حجر عن على بن مسهر عن داود بن أبى هند به بمعناه ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا . قال : وقد رواه أبوداود الطيالسى عن شعبة عن المغيرة عن الشعبى مرسلا ، وهذا أصح وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ثم قال الله تعالى(إن هذا لهو القصص الحق) أى هذا الذى قصصناه عليك يامحمد فى شأن عيسى هو الحق الذى لامعدل عنه ولا محيد(ومامن إله إلا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم * فان تولوا) أى عن هذا إلى غيره (فإن الله عليم بالمفسدين) أى من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذى لا يفوته شىء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلة) والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها ثم فسرها بقوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لاوثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا ناراً ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وقال ابن جريج : يعنى يطيع بعضنا بعضا فى معصية الله وقال عكرمة يسجد بعضنا لبعض (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى فان تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذى شرعه الله لكم . وقد ذكرنا فى شرح البخارى عند روايته من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن أبى سفيان فى قصته حين دخل على قيصر فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونعته وما يدعو إليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية ، مع أن أبا سفيان إذ ذاك كان مشركا لم يسلم إلا بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح كما هو مصرح به فى الحديث ، ولأنه لما سأله هل يغدر ؟ قال : فقلت لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها قال ولم يمكنى كلة أزيد فيها شيئا سوى هذه والغرض أنه قال ثم جىء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فاذا فيه .

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فإنما عليك إثم الأريسيين و (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)»

وقد ذكر محمد بن إسحق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت فى وفد نجران وقال الزهرى : هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل فى جملة الكتاب وبين ما ذكره محمد بن إسحق والزهرى ؟ والجواب من وجوه (أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الفتح (الثانى) يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل فى وفد نجران إلى هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول ابن إسحق إلى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبى سفيان (الثالث) يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وأن الذى بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على وجه الجزية بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض

الخمس والأربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش فى تلك السرية قبل بدر ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك (الرابع) يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكتب هذا فى كتابه إلى هرقل لم يكن أنزل بعد ثم أنزل القرآن موافقة له صلى الله عليه وسلم كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى الحجاب وفى الأسارى ، وفى عدم الصلاة على المنافقين ، وفى قوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وفى قوله (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى فى محاجتهم فى إبراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم كما قال محمد بن إسحق بن يسار حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الأحبار : ماكان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى ماكان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله تعالى (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم) الآية أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ، ولهذا قال تعالى (أفلا تعقلون) ثم قال تعالى (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) الآية . هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فان اليهود والنصارى تحاجوا فى إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التى شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى لله عليه وسلم لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لا يعلمون ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد مالا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها ، ولهذا قال تعالى (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم قال تعالى (ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) أى متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان (وماكان من المشركين) وهذه الآية كالتى تقدمت فى سورة البقرة (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) الآية .ثم قال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) يقول تعالى . أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبى يعنى محمداً ﷺ والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم . قال سعيد بن منصور حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى ولاة من النبيين ، وإن ولي منهم أبى وخليل ربى عز وجل » ثم قرأ (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) الآية ، وقد رواه الترمذى والبزار من حديث أبى أحمد الزبيرى عن سفيان الثورى عن أبيه به ، ثم قال البزار : ورواه غير أبى أحمد عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن عبدالله ولم يذكر مسروقا وكذا رواه الترمذى من طريق وكيع عن سفيان ثم قال : وهذا أصح ، لكن رواه وكيع فى تفسيره فقال : حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى إسحاق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبى ولاية من النبيين وإن ولي منهم أبى وخليل ربى عزوجل إبراهيم عليه السلام » ثم قرأ (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا) الآية ، وقوله (والله ولى المؤمنين) أى ولى جميع المؤمنين برسله

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم إياهم الاضلال وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم ممكورون بهم ، ثم قال تعالى منكرا عليهم (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) أى تعلمون صدقها وتتحققون حقها (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) أى تكتمون ما فى كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) الآية هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب فى دين المسلمين ولهذا قالوا (لعلهم يرجعون) وقال ابن أبى نجيح . عن مجاهد فى قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية يعنى يهودا صلت مع النبى ﷺ صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه . وقال العوفى عن ابن عباس :قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا ، وهكذا روى عن قتادة والسدى والربيع وأبى مالك وقوله تعالى (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) أى لا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم. قال الله تعالى (قل إن الهدى هدى الله) أى هو الذى يهدى قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبى الأمى فى كتبكم التى نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين وقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أى يتخذوه حجة عليكم بما فى أيديكم فتقوم به عليكم الدلالة وترتكب الحجة فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) أى الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطى المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام ، ويضل من يشاء فيعمى بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة (والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمداً ﷺ على سائر الأنبياء وهداكم به إلى أكمل الشرائع

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ

أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فان منهم (من إن تأمنه بقنطار) أى من المال (يؤده إليك) أى وما دونه بطريق الأولى أن يؤده[1] إليك (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما) أى بالمطالبة والملازمة والالحاح فى استخلاص حقك وإذا كان هذا صنيعه فى الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليك. وقد تقدم الكلام على القنطار فى أول السورة، وأما الدينار فمعروف. وقد قال ابن أبى حاتم: حدثنا سعيد بن عمرو السكونى حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم حدثنى مالك بن دينار قال: إنما سمى الدينار لأنه دين ونار. وقيل معناه من أخذه بحقه فهو دينه ومن أخذه بغير حقه فله النار. ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذى علقه البخارى فى غير موضع من صحيحه، ومن أحسنها سياقه فى كتاب الكفالة حيث قال: وقال الليث حدثنى جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال: ائتنى بالكفيل قال: كفى بالله كفيلا قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها ليقدم عليه فى الأجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أنى استسلفت فلانا ألف دينار فسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا وسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى استودعتكها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه لينظر لعل مركبا يجيئه بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال: والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال: هل كنت بعثت إلىّ بشىء؟ قال: ألم أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل هذا قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بألف دينار راشدا، هكذا رواه البخارى فى موضع معلقا بصيغة الجزم، وأسنده فى بعض المواضع من الصحيح عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه. ورواه الإمام أحمد فى مسنده هكذا مطولا عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به، ورواه البزار فى مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه، ثم قال: لا يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، كذا قال وهو خطأ لما تقدم. وقوله (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل) أى إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا فى ديننا حرج فى أكل أموال الأميين وهم العرب فإن الله قد أحلها لنا قال الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى وقد اختلقوا هذه المقالة، وافتكوها بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبى إسحق الهمدانى عن أبى صعصعة بن يزيد أن رجلا سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الأميين سبيل، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم، وكذا رواه الثورى عن أبى إسحق بنحوه وقال ابن أبى حاتم: حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا يعقوب حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير قال لما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الأميين سبيل قال نبى الله صلى الله عليه وسلم «كذب أعداء الله ما من شىء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى هاتين إلا الأمانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر» ثم قال تعالى (بلى من أوفى بعهده واتقى) أى لكن من أوفى بعهده واتقى منكم يا أهل الكتاب الذى عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك واتقى محارم الله واتبع طاعته وشريعته التى بعث بها خاتم رسله وسيدهم (فإن الله يحب المتقين)

(١) كذا فى النسختين والوجه أن يؤديه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ان الذين يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة وهى عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة (أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة) أى لانصيب لهم فيها ولاحظ لهم منها (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أى برحمة منه لهم يعنى لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولاينظر إليهم بعين الرحمة (ولايزكيهم) أى من الذنوب والأدناس بل يأمر بهم إلى النار (ولهم عذاب أليم) . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ماتيسر .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا شعبة قال على بن مدرك أخبرنى قال : سمعت أبازرعة عن خرشة بن الحر عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » قلت يارسول الله . من هم ؟ خسروا وخابوا قال . وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال « المسبل ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان » ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به (طريق أخرى) قال أحمد : حدثنا إسماعيل عن الجريرى عن أبى العلاء بن الشخير عن أبى الأحمس قال : لقيت أباذر فقلت له بلغنى عنك أنك تحدث حديثا عن رسول الله ﷺ قال أما إنه لايخالنى أن أكذب على رسول الله ﷺ بعدما سمعته منه فما الذى بلغك عنى ؟ قلت بلغنى أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم الله ، قال : قلته وسمعته قلت فمن هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال « الرجل يلقى العدو فى فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أوظعن » قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله ؟ قال « التاجر الحلاف ـ أو قال البائع الحلاف ـ والفقير المختال والبخيل المنان » غريب من هذا الوجه

(الحديث الثانى) قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى بن سعيد عن جرير بن حازم حدثنا عدى بن عدى أخبرنى رجاء ابن حيوة والعرس بن عميرة عن أبيه عدى هو ابن عميرة الكندى قال خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس ابن عامر رجلا من حضرموت إلى رسول الله ﷺ فى أرض فقضى على الحضرمى بالبينة فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس باليمين فقال الحضرمى : أمكنته من اليمين يارسول الله ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضى ، فقال النبى ﷺ « من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » قال رجاء وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يارسول الله ؟ فقال « الجنة » قال : فاشهد أنى قد تركتها له كلها ، ورواه النسائى من حديث عدى بن عدى به

(الحديث الثالث) قال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » فقال الأشعث : فىّ والله كان ذلك ، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى أرضى فقدمته إلى رسول الله ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ « ألك بينة » ؟ قلت : لا فقال لليهودى احلف . فقلت يارسول الله إذاً يحلف فيذهب مالى فأنزل الله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية ، أخرجاه من حديث الأعمش (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن شقيق بن سلمة حدثنا عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » قال فجاء الأشعث ابن قيس فقال : مايحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدثناه فقال : كان فىّ هذا الحديث خاصمت ابن عم لى إلى رسول الله ﷺ فى بئر كانت لى فى يده فجحدنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينتك أنها بئرك وإلا فيمينه » قال :

قلت يارسول الله مالى بينة ، وإن تجعلها بيمينه تذهب بأرى إن خصمى امرؤ فاجر فقال رسول الله ﷺ « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » قال : وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية

(الحديث الرابع) قال أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثنا رشيدين عن زياد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى عبادا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم » قيل ومن أولئك يارسول الله ؟ قال « متبرئ من والديه راغب عنهما ومتبرئ من ولده ، ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرأ منهم »

(الحديث الخامس) قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم أنبأنا العوام يعنى ابن حوشب عن إبراهيم ابن عبد الرحمن يعنى السكسكى عن عبدالله بن أبى أوفى ان رجلا أقام سلعة له فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية ورواه البخارى من غير وجه عن العوام

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعنى كاذبا ، ورجل بايع إماما فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يف له » ورواه أبو داود والترمذى من حديث وكيع وقال الترمذى : حديث حسن صحيح

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله أن منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ليوهموا الجهلة أنه فى كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا فى ذلك كله ، ولهذا قال الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقال مجاهد والشعبى والحسن وقتادة والربيع بن أنس : (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يحرفونه ، وهكذا روى البخارى عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيلون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله وقال وهب بن منبه : إن التوراة والانجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول رواه ابن أبى حاتم ، فان عنى وهب مابأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير المعرب المعبر[1] وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عنى كتب الله التى هى كتبه من عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شىء

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(١) وفيها المعبر المعرب .

قال محمد بن إسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله[1] ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك من قولهما (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة — إلى قوله — بعد إذ أنتم مسلمون) فقوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله ، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ، ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم كما قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية . وفي المسند والترمذي كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال : يا رسول الله ما عبدوهم قال « بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فانهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام . وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام . فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة فقاموا بذلك أتم القيام ونصحوا الخلق ، وبلغوهم الحق ، وقوله (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد أي حكماء علماء حلماء ، وقال الحسن وغير واحد فقهاء ، وكذا روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء الخراساني وعطية العوفي والربيع بن أنس . وعن الحسن أيضا يعني أهل عبادة وأهل تقوى . وقال الضحاك في قوله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها تعلمون أي تفهمون معناه وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم (وبما كنتم تدرسون) تحفظون ألفاظه ثم قال الله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية ، وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الله آلهة يعبدون) وقال إخبارا عن الملائكة (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) أي لمهما

(١) في نسخة الأزهر غيره

أعطيتكم من كتاب وحكمة (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدى : يعنى عهدى . وقال محمد بن إسحق (إصرى) أى ثقل ماحملتم من عهدى أى ميثاقى الشديد المؤكد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك) أى عن هذا العهد والميثاق (فأولئك هم الفاسقون) . قال على بن أبى طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه . وقال طاوس والحسن البصرى وقتادة : أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وهذا لا يضاد ماقاله على وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه . ولهذا روى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه مثل قول على وابن عباس . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن جابر عن الشعبى عن عبدالله بن ثابت قال جاء عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى أمرت بأخ لى يهودى[1] من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ . قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله ابن ثابت قلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا قال: فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال « والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين »

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى[2] حدثنا إسحق حدثنا حماد عن مجالد عن الشعبى عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى » وفى بعض الأحاديث « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى » فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس وكذلك هو الشفيع فى المحشر فى إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذى لا يليق إلا له والذى يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهى النوبة إليه فيكون هو المخصوص بصلوات الله وسلامه عليه

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

يقول تعالى منكراً على من أراد دينا سوى دين الله الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذى له أسلم من فى السموات والأرض أى استسلم له من فيهما طوعا وكرها كما قال تعالى (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) الآية وقال تعالى (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فانه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث فى تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة فقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن النضر العسكرى حدثنا سعيد بن حفص النفيلى حدثنا محمد بن محصن العكاشى حدثنا الأوزاعى عن عطاء بن أبى رباح عن النبى صلى الله عليه وسلم « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا

(١) وفى نسخة الأزهر مررت بأخ لى من قريظة (٢) وفيها أبو بكر يعنى البزار فيراجعان .

وكرها) « أما من فى السموات فالملائكة ، وأما من فى الأرض فمن ولد على الإسلام . وأما كرهاً فمن أتى به من سبايا الأمم فى السلاسل والأغلال ، يقادون إلى الجنة وهم كارهون » وقد ورد فى الصحيح «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل » وسيأتى له شاهد من وجه آخر ، ولكن المعنى الأول للآية أقوى . وقد قال وكيع فى تفسيره حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرهاً) قال : هو كقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال أيضاً : حدثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرهاً) قال حين أخذ الميثاق (وإليه يرجعون) أى يوم المعاد فيجازى كلا بعمله . ثم قال تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) يعنى القرآن (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب) أى من الصحف والوحى (والأسباط) وهم بطون بنى إسرائيل التشعبة من أولاد إسرائيل — وهو يعقوب — الاثنى عشر (وما أوتى موسى وعيسى) يعنى بذلك التوراة والإنجيل (والنبيون من ربهم) وهذا يعم جميع الأنبياء جملة (لا نفرق بين أحد منهم) يعنى بل نؤمن بجميعهم (ونحن له مسلمون) فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبى أرسل ، وبكل كتاب أنزل لا يكفرون بشىء من ذلك بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله ، وبكل نبى بعثه الله

ثم قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) الآية أى من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجىء الأعمال يوم القيامة فتجىء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير ، وتجىء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول إنك على خير ، ثم يجىء الصيام فيقول يا رب أنا الصيام فيقول إنك على خير ، ثم تجىء الأعمال ، كل ذلك يقول الله تعالى إنك على خير ، ثم يجىء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطى . قال الله فى كتابه (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) » تفرد به أحمد قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد : عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبى هريرة

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصرى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا لى رسول الله هل لى من توبة ؟ فنزلت (كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم — إلى قوله — فإن الله غفور رحيم) فأرسل إليه قومه فأسلم ، وهكذا رواه النسائى والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبى هند به . وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا حميد الأعرج عن مجاهد قال : جاء الحارث ابن سويد فأسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه[1] (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم — إلى قوله — غفور رحيم) قال . فحملها إليه رجل من قومه فقرأ عليه فقال الحارث . إنك — والله ماعلمت — لصدوق وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله لأصدق الثلاثة قال : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه فقوله تعالى (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ، ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى

(١) فى نسخة الأزهر قرآنا .

ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ولهذا قال تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) أى يلعنهم الله ويلعنهم خلقه (خالدين فيها) أى فى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلضَّالُّونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرا أى استمر عليه إلى الممات ومخبرا بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت) الآية ولهذا قال ههنا (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أى الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغى قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) هكذا رواه و إسناده جيد ، ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبا فيما يراه قربة كما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العانى ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهبا ماقبل منه كما قال تعالى (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلال) وقال (إن الذين كفروا لو أن لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) ولهذا قال تعالى ههنا (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) فعطف ولو افتدى به على الأول فدل على أنه غيره ، وماذكرناه أحسن من أن يقال إن الواو زائدة والله أعلم ويقتضى ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شىء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبا ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنى شعبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به قال : فيقول نعم ، فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك » وهكذا أخرجه البخارى ومسلم (طريق أخرى) وقال الإمام أحمد . حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أى رب خير منزل ، فيقول : سل وتمن ، فيقول . ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرار ، لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول : يا رب شر منزل فيقول له أتفتدى منى بطلاع الأرض ذهبا فيقول أى رب نعم فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار » ولهذا قال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أى وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

روى وكيع فى تفسيره عن شريك عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال : الجنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة سمع أنس بن مالك يقول : كان أبوطلحة أكثر الأنصار(١) بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله اليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبوطلحة : يارسول الله إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال النبى ﷺ « بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح ، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين » فقال أبوطلحة : أفعل يارسول الله فقسمها أبوطلحة فى أقاربه وبنى عمه ، أخرجاه(٢) وفى الصحيحين أن عمر قال : يارسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندى من سهمى الذى هو بخيبر فما تأمرنى به ؟ قال « حبس الأصل وسبل الثمرة » وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبوالخطاب زياد بن يحيى الحسانى حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبى عمرو بن حماس عن حمزة بن عبدالله بن عمر قال : قال عبدالله حضرتنى هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطانى الله فلم أجد شيئا أحب الىّ من جارية لى رومية فقلت : هى حرة لوجه الله فلو أنى أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها يعنى تزوجتها

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى : قال « سلونى عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الاسلام » قالوا فذلك لك قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى النوم ومن وليه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال « أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها » فقالوا : اللهم نعم فقال « اللهم اشهد عليهم » وقال « أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله » قالوا : نعم قال « اللهم اشهد عليهم » قال « وأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قال « وإن ولى جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه » قالوا : فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك ، فعند ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية ورواه أحمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبدالحميد به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبوأحمد الزبيرى حدثنا عبدالله بن الوليد العجلى عن بكير بن شهاب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال (والله على ما نقول وكيل) قال

(١) فى نسخة الأزهر أنصارى (٢) أى فى الصحيحين .

« هاتوا » قالوا أخبرنا عن علامة النبي ؟ «قال تنام عيناه ولا ينام قلبه» قالوا أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر. قال « يلتقى الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماء المرأة أنثت » قالوا أخبرنا ماحرم إسرائيل على نفسه ؟ قال « كان يشتكى عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا ـ قال أحمد قال بعضهم يعنى الإبل ـ فحرم لحومها» قالوا صدقت قالوا أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده ـ أو فى يديه ـ مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل » قالوا فما هذا الصوت الذى يسمع ؟ قال « صوته » قالوا صدقت إنما بقيت واحدة وهى التى تتابعك إن أخبرتنا بها إنه . ليس من نبى إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك قال « جبريل عليه السلام » قالوا جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) والآية بعدها وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث عبدالله بن الوليد العجلى به نحوه ، وقال الترمذى حسن غريب : وقال ابن جريج والعوفى عن ابن عباس . كان إسرائيل عليه السلام ـ وهو يعقوب ـ يعتريه عرق النسا بالليل ، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم ويقلع الوجع عنه بالنهار فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقا ولا يأكل ولد ماله عرق ، وهكذا قال الضحاك والسدى كذا ورواه حكاه ابن جرير فى تفسيره قال . فاتبعه بنوه فى تحريم ذلك استنانا به واقتداء بطريقه قال : وقوله (من قبل أن تنزل التوراة) أى حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قلت: ولهذا السياق بعد ماتقدم مناسبتان (إحداهما) أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله وكان هذا سائغا فى شريعتهم فله مناسبة بعد قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فهذا هو المشروع عندنا وهو الانفاق فى طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهيه كما قال تعالى (وآتى المال على حبه) وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية (المناسبة الثانية) لما تقدم بيان[1] الرد على النصارى واعتقادهم الباطل فى المسيح وتبيين زيف ماذهبوا اليه ، وظهور الحق واليقين فى عيسى وأمه كيف خلقه الله بقدرته ومشيئته وبعثه إلى بنى إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى ، شرع فى الرد على اليهود قبحهم الله تعالى ، وبيان أن النسخ الذى أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع ، فان الله تعالى قد نص فى كتابهم التوراة أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم[2] الإبل وألبانها فاتبعه بنوه فى ذلك ، وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخرى زيادة على ذلك ، وكان الله عزوجل قد أذن لآدم فى تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التسرى على الزوجة مباحا فى شريعة إبراهيم عليه السلام ، وقد فعله إبراهيم فى هاجر لما تسرى بها على سارة ، وقد حرم مثل هذا فى التوراة عليهم ، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغاً ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ، ثم حرم عليهم ذلك فى التوراة ، وهذا كله منصوص عليه فى التوراة عندهم ، وهذا هو النسخ بعينه فكذلك فليكن ماشرعه الله للمسيح عليه السلام فى إحلاله بعض ماحرم فى التوراة فما بالهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه ؟ وكذلك ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الدين القويم ، والصراط المستقيم ، وملة أبيه إبراهيم ، فما بالهم لا يؤمنون ؟ ولهذا قال تعالى (كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) أى كان حلا لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ماحرمه إسرائيل ثم قال تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) فإنها ناطقة بما قلناه (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) أى فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائما ، وأنه لم يبعث نبياً آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذى بيناه من وقوع النسخ وظهور ماذكرنا (فأولئك هم الظالمون) ثم قال تعالى (قل صدق الله) أى قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه فى القرآن (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) أى اتبعوا ملة إبراهيم التى شرعها الله فى القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانه الحق الذى لاشك فيه ولا مرية وهى الطريقة التى لم يأت نبى بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم كما قال تعالى (قل إننى هدانى ربى إلى صراط

(١) فى نسخة الأزهر السياق فى . (٢) وفيها لحمان .

مستقيم * دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أى لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون اليه ويعتكفون عنده (للذى ببكة) يعنى الكعبة التى بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذى يزعم كل من طائفتى النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه ولا يحجون إلى البيت الذى بناه عن أمر الله له فى ذلك ونادى الناس إلى حجه ولهذا قال تعالى (مباركا) أى وضع مباركا (وهدى للعالمين) وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت . ثم أى ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » قلت . ثم أى قال « ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد » وأخرجه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به. وقال ابن أبى حاتم . حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجاهد[1] عن الشعبى عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا) قال كانت البيوت قبله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله . وحدثنا أبى حدثنا الحسن ابن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال : قام رجل إلى على رضى الله عنه فقال : ألا تحدثنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الأرض ؟ قال : لا ولكنه[2] أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، وذكر تمام الخبر فى كيفية بناء إبراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا . وزعم السدى أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا ، والصحيح قول على رضى الله عنه . فأما الحديث الذى رواه البيهقى فى بناء الكعبة فى كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص مرفوعا « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له . أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » فانه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف . والأشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب

وقوله تعالى (للذى ببكة) بكة من أسماء مكة على المشهور قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل : لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون . قال قتادة . إن الله بك به الناس جميعا فيصلى النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان . وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال . مكة من الفج إلى التنعيم ، وبكة من البيت إلى البطحاء وقال شعبة عن المغيرة عن إبراهيم : بكة البيت والمسجد وكذا قال الزهرى . وقال عكرمة فى رواية وميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة . وقال أبو مالك وأبو صالح وإبراهيم النخعى وعطية العوفى ومقاتل بن حيان بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة ، مكة ، وبكة ، والبيت العتيق والبيت الحرام ، والبلد الأمين ، والمأمون ، وأم رحم[3] ، وأم القرى ، وصلاح ، والعرش على وزن بدر ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب ؟ والمقدسة ، والناسة بالنون وبالباء أيضا والباسة والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء والبلدة ، والبنية ، والكعبة

وقوله تعالى (فيه آيات بينات) أى دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم ، وأن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى

(١) فى نسخة الأزهر مجالد وهو الصواب (٢) وفيها كان (٣) وفيها جم .

(مقام إبراهيم) يعنى الذى لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف . لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقد قدمنا الأحاديث فى ذلك فأغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) أى فمنهم مقام إبراهيم والمشاعر وقال مجاهد أثر قدميه فى المقام آية بينة ، وكذا روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال أبو طالب فى قصيدته اللامية المشهورة

وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد وعمرو الأودى قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى (مقام إبراهيم) قال : الحرم كله مقام إبراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقام إبراهيم ، وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج مقام إبراهيم . هكذا رأيته فى النسخة ولعله الحجر كله مقام إبراهيم . وقد صرح بذلك مجاهد وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) يعنى حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الأمر فى حال الجاهلية كما قال الحسن البصرى وغيره : كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التميمى عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : من عاذ بالبيت أعاذه البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنبه : وقال الله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الآية . وقال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره ، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ، كما ثبتت الأحاديث والآثار فى ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفاً . ففى الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها » فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال « إلا الإذخر » ولهما عن أبى هريرة مثله أو نحوه ولهما واللفظ لمسلم أيضاً عن أبى شريح العدوى أنه قال : لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة ائذن لى أيها الأمير أن أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه سلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناى حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما . أو يعضد بها شجرة ، فان أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبى شريح ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم . وعن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة[1] بسوق مكة يقول « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وكذا صحح من حديث ابن عباس نحوه . وروى أحمد عن أبى هريرة نحوه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهر السمان حدثنا بشر بن عاصم عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى مخزوم حدثنى زياد بن أبى عياش عن يحيى بن جعدة بن هبيرة فى قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)

(١) فى نسخة الأزهر الحزورة

قال : آمنا من النار . وفى معنى هذا القول الحديث الذى رواه البيهقى . أخبرنا أبوالحسن على بن أحمد بن عبدان حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن عن عطاء عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من دخل البيت دخل فى حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له » ثم قال : تفرد به عبدالله بن المؤمل وليس بالقوى. وقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . وقيل بل هى قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) والأول أظهر . وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الاسلام ودعائمه وقواعده ، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا وإنما يجب على المكلف فى العمر مرة واحدة بالنص والاجماع . قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع ابن مسلم القرشى عن محمد بن زياد عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال « ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » ورواه مسلم عن زهير ابن حرب عن يزيد بن هرون به نحوه . وقدروى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن أبى سنان الدؤلى واسمه يزيد بن أمية عن ابن عباس رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج » فقام الأقرع بن حابس فقال : يارسول الله أفى كل عام ؟ فقال « لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن[1] تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » رواه أحمد وأبوداود والنسائى وابن ماجه ، والحاكم من حديث الزهرى به ، ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه . وروى من حديث أسامة بن زيد

وقال الإمام أحمد : حدثنا منصور بن وردان عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن أبيه عن البخترى عن على رضى الله عنه قال : لما نزلت (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) قالوا يارسول الله فى كل عام فسكت قالوا يارسول الله فى كل عام ؟ قال « لا ولو قلت نعم لوجبت » فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وكذا رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به ثم قال الترمذى حسن غريب ، وفيما قال نظر لأن البخارى قال : لم يسمع أبوالبخترى من على . وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن أبى عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبى سفيان عن أنس بن مالك قال : قالوا يارسول الله الحج فى كل عام ؟ قال « لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها لتعذبتم » . وفى الصحيحين من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر عن سراقة بن مالك قال : يارسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ قال « لا . بل للأبد » وفى رواية « بل لأبد الأبد »

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود من حديث واقد بن أبى واقد الليثى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه فى حجته هذه « ثم ظهور الحصر - يعنى ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت » وأما الاستطاعة فأقسام تارة يكون الشخص مستطيعاً بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر فى كتب الأحكام : قال أبوعيسى الترمذى : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا إبراهيم بن يزيد قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من الحاج يارسول الله ؟ قال : « الشعث التفل » فقام آخر فقال أى الحج أفضل يارسول الله : قال « العج والثج » فقام آخر فقال : ماالسبيل يارسول الله قال : « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الجوزى . قال الترمذى : ولا يرفعه إلا من حديثه وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه كذا قال ههنا وقال فى كتاب الحج : هذا حديث حسن لايشك أن هذا الاسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزى هذا وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث لكن قد تابعه غيره فقال ابن

(١) فى نسخة الأزهر ولم .

أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن محمد بن عباد ابن جعفر قال : جلست إلى عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له ما السبيل ؟ قال «الزاد والراحلة» وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير به . ثم قال ابن أبي حاتم : وقد روى عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ، ولكن في أسانيدها مقال كما هو مقرر في كتاب الأحكام والله أعلم . وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل (من استطاع إليه سبيلا) فقيل ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال : قرأ رسول الله ﷺ (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) فقالوا : يارسول الله ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان عن يونس به . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن إسماعيل وهو أبو إسرائيل الملائي عن فضيل يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا إلى الحج ـ يعني الفريضة ـ فان أحدكم لا يدري مايعرض له » . وقال أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي عن مهران ابن أبي صفوان عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أراد الحج فليتعجل » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي معاوية الضرير به . وقد روى وكيع وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى (من استطاع إليه سبيلا) قال من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلا وعن عكرمة مولاه أنه قال : السبيل الصحة . وروى وكيع بن الجراح عن أبي جناب يعني الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : (من استطاع إليه سبيلا) قال « الزاد والبعير » وقوله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه . وقال سعيد بن منصور عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال : لما نزلت (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) قالت اليهود : فنحن مسلمون قال الله عز وجل فاخصمهم فحجهم يعني فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا قال الله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) » وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا مسلم بن إبراهيم وشاذ بن فياض قالا : حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني حدثنا أبو إسحق الهمداني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديا أو نصرانيا وذلك بأن الله قال (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا * ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي حدثنا هلال بن الفياض حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني فذكره بإسناده مثله ، ورواه الترمذي عن محمد بن علي[1] القطعي عن مسلم بن إبراهيم عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو ابن مسلم الباهلي به وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث يضعف في الحديث . وقال البخاري ، هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي ، هذا الحديث ليس بمحفوظ . وقد روى أبو بكر الاسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر حدثني عبد الرحمن بن غنم[2] أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا ، وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه . وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين ماهم بمسلمين

(١) فيها يحيى (٢) وفيها غنيم .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم. وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أي وسيجزيهم على ذلك (يوم لا ينفع مال ولا بنون)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله كما قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) الآية، وهكذا قال ههنا (إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) يعني أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهاراً وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، وهذا كقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين) الآية بعدها. وكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوما « أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانا ؟ » قالوا : الملائكة قال « وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم » قالوا : فنحن قال « وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم » قالوا : فأي الناس أعجب إيمانا؟ قال « قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها » وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري ولله الحمد. ثم قال تعالى (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) أي ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

قال ابن أبي حاتم. حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن سفيان وشعبة عن زبيد اليامي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (اتقوا الله حق تقاته) قال : أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وهذا إسناد صحيح موقوف، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس ابن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى » وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث مسعر عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا

قال . والأظهر أنه موقوف والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم . وروى نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خيثم وعمرو ابن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدى نحو ذلك . وروى عن أنس أنه قال لا يتقى الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه . وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية. والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدى وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) .وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وقوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فان الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه فعياذا بالله من خلاف ذلك

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا شعبة قال سمعت سليمان عن مجاهد : إن الناس كانوا يطوفون بالبيت وإن ابن عباس جالس معه محجن فقال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم (١) فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي ؛ حسن صحيح : وقال الحاكم : على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه »

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » ورواه مسلم من طريق الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يونس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله قال أنا عند ظن عبدي بي ، فان ظن بي خيرا فله ، وإن ظن بي شرا فله » وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس قال : كان رجل من الأنصار مريضاً فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فوافقه في السوق فسلم عليه فقال له « كيف أنت يا فلان » ؟ قال : بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديثه ثم قال الترمذي غريب ، وكذا رواه بعضهم عن ثابت مرسلا فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن حكيم بن حزام قال : بايعت رسول صلى الله عليه وسلم أن لا أخر إلا قائما ، ورواه النسائي في سننه عن إسماعيل ابن مسعود عن خالد بن الحارث عن شعبة به وترجم عليه فقال ﴿ باب كيف يخر للسجود ﴾ ثم ساقه مثله فقيل معناه أن لا أموت إلا مسلماً ، وقيل : معناه أن لا أقتل إلا مقبلا غير مدبر وهو يرجع إلى الأول

وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) قيل (بحبل الله)أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) أي بعهد وذمة وقيل بحبل من الله يعني القرآن كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعا في صفة القرآن « هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم »

وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن (٢) سليمان العزرمي عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في نسخة الأزهر : لأمرت على أهل الأرض عيشتهم (٢) وفيها : أبي سليمان .

« كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »

وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه » وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك . وقال وكيع حدثنا الأعمش عن أبى وائل قال : قال عبد الله : إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين . يا عبد الله هذا الطريق ، هلم إلى الطريق فاعتصموا بحبل الله فان حبل الله القرآن !

وقوله (ولا تفرقوا) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهى عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف كما فى صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا . وخيف عليهم الافتراق والاختلاف فقد وقع ذلك فى هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار وهم الذين على ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) إلى آخر الآية ، وهذا السياق فى شأن الأوس والخزرج فانه قد كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية ، وعداوة شديدة وضغائن وإحن وذحول ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين فى ذات الله ؛ متعاونين على البر والتقوى قال الله تعالى (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) إلى آخر الآية وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم فأنقذهم الله منها أن هداهم للايمان . وقد امتن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين فعتب من عتب منهم بما فضل عليهم فى القسمة بما أراه الله فخطبهم فقال « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله بى ؟» فكلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن . وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار وغيره : أن هذه الآية نزلت فى شأن الأوس والخزرج . وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج فساءه ماهم عليه من الاتفاق والألفة فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتثاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟» وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم وذكر عكرمة . أن ذلك نزل فيهم حين تثاوروا فى قضية الإفك والله أعلم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ

يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

يقول تعالى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأولئك هم المفلحون قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعنى المجاهدين والعلماء . وقال أبو جعفر الباقر قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) ثم قال « الخير اتباع القرآن وسنتى » رواه ابن مردويه . والمقصود من هذ الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد فرد من الأمة بحسبه كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الايمان » وفى رواية « وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان الهاشمى أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرنى عمرو بن أبى عمرو عن عبدالله بن عبدالرحمن الأشهلى عن حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن أبى عمرو به ، وقال الترمذى حسن والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتى تفسيرها فى أماكنها . ثم قال تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) الآية ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين فى افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع قيام الحجة عليهم .

قال الأمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنى أزهر بن عبد الله الهروى عن أبى عامر عبد الله بن يحيى قال : حججنا مع معاوية بن أبى سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة — يعنى الأهواء — كلها فى النار إلا واحدة — وهى الجماعة — وإنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » والله يامعشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لايقوم به . وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى كلاهما عن أبى المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامى به ، وقد ورد[1] هذا الحديث من طرق

وقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعنى يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعه والفرقة قاله ابن عباس رضى الله عنهما (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) قال الحسن البصرى : وهم المنافقون (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وهذا الوصف يعم كل كافر (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمه الله هم فيها خالدون) يعنى الجنة ماكثون فيها أبدا لا يبغون عنها حولا . وقد قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحماد بن سلمة عن أبى غالب قال: رأى أبو أمامة رءوسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة . كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) إلى آخر الآية قلت : لأبى أمامة أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أومرتين أو ثلاثا أو أربعا — حتى عد سبعا — ما حدثتكموه ، ثم قال هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبى غالب ، وأخرجه أحمد فى مسنده عن عبد الرزاق عن معمر عن أبى غالب بنحوه

وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبى ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا . ثم قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك) أى هذه آيات الله وحججه وبيناته نتلوها عليك يا محمد (بالحق) أى نكشف ما الأمر عليه فى الدنيا

(١) فى نسخة الأزهر : روى

والآخرة (وما الله يريد ظلماً للعالمين) أى ليس بظالم لهم بل هو الحاكم[1] العدل الذى لا يجور ، لأنه القادر على كل شىء ، العالم بكل شىء ، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدا من خلقه ، ولهذا قال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) أى الجميع ملك له وعبيد له (وإلى الله ترجع الأمور) أى هو الحاكم المتصرف فى الدنيا والآخرة

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِئَايَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال البخارى : حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام ، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفى وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يعنى خير الناس للناس : والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن درة[2] بنت أبى لهب قالت : قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال « خير الناس أقراهم وأتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » ورواه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه والحاكم فى مستدركه من حديث سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة . والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال فى الآية الأخرى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا (لتكونوا شهداء على الناس) الآية

وفى مسند الإمام أحمد وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل » وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذى . ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبى سعيد نحوه . وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبى قبله ولا رسول من الرسل فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه مالا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه كما قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرحمن حدثنا ابن زهير عن عبدالله يعنى ابن محمد بن عقيل عن محمد بن على وهو ابن الحنفية أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء » فقلنا يارسول الله ماهو ؟ قال « نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد وجعل التراب لى طهورا ، وجعلت أمتى خير الأمم » تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناده حسن

وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية بن أبى حبيش[3] عن يزيد بن ميسرة قال سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول

(١) فى نسخة الأزهر : الحكم (٢) وفيها زوج درة (٣) وفيها حليس .

« إن الله تعالى يقول ياعيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم مايحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولاحلم ولاعلم قال : يارب كيف هذا لهم ولاحلم ولا علم ؟ قال أعطيهم من حلمي وعلمي »

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها ههنا قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا المسعودي حدثنا بكير بن الأخنس عن رجل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً » فقال أبو بكر رضي الله عنه : فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادي

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام بن حسان عن القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال « إن ربي أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته فقال « استزدته فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفاً » قال عمر فهلا استزدته قال « قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً » قال عمر : فهلا استزدته قال « قد استزدته فأعطاني هكذا » وفرج عبد الرحمن ابن أبي بكر بين يديه ، وقال عبد الله وبسط باعيه وحثا عبد الله وقال هاشم : وهذا من الله لا يدري ما عدده

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة قال : قال شريح بن عبيدة : مرض ثوبان بحمص وعليها عبد الله بن قرط الأزدي فلم يعده فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين عائداً له فقال له ثوبان : أتكتب؟ قال : نعم قال أكتب فكتب للأمير عبد الله بن قرط من ثوبان مولى رسول الله ﷺ . أما بعد فانه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته ، ثم طوى الكتاب وقال له : أتبلغه إياه ؟ قال نعم فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط فلما رآه قام فزعا فقال الناس ماشأنه أحدث أمر : فأتى ثوبان فدخل عليه فعاده وجلس عنده ساعة ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال : اجلس حتى أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً لاحساب عليهم ولاعذاب مع كل ألف سبعون ألفاً » تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وإسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون فهو حديث صحيح ولله الحمد والمنة

(طريق أخرى) قال الطبراني حدثنا عمرو بن إسحق بن زريق الحمصي حدثنا محمد بن إسماعيل يعني ابن عياش حدثني أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفاً لايحاسبون ، مع كل ألف سبعون ألفا » هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان والله أعلم

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال « عرضت على الأنبياء الليلة بأممها ، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه النفر ، والنبي وليس معه أحد ، حتى مر على موسى عليه السلام ومعه كبكبة من بني إسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء ؟ قيل : هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل فقلت . فأين أمتي ؟ فقيل انظر عن يمينك فنظرت فإذا الضراب[1] قد سد بوجوه الرجال فقيل لي أرضيت فقلت . رضيت يارب — قال — فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقال النبي ﷺ « فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوا فإن قصرتم فكونوا من أهل الضراب ، فان قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون » فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم أي من السبعين فدعاله ، فقام رجل آخر فقال ادع الله يارسول الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال ثم تحدثنا فقلنا من ترون هؤلاء السبعين الألف ، قوم ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « هم الذين لايسترقون . ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » هكذا رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة باسناده مثله وزاد بعد قوله « رضيت يارب ، رضيت يارب قال : رضيت . قلت نعم قال : انظر عن يسارك

(١) قوله فإذا الضراب هكذا في الموضعين وفي نسخة في موضع الظراب بالظاء وحرر .

ـ قال ـ فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقال : رضيت؟قلت:رضيت» وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه، تفرد به أحمد ولم يخرجوه

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « عرضت علىّ الأمم بالموسم فرأيت على أمتى ، ثم رأيتهم فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم ، قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد ؟ فقلت : نعم قال : فان مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال « أنت منهم » فقام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم فقال « سبقك بها عكاشة » رواه الحافظ الضياء المقدسى وقال : هذا عندى على شرط مسلم .

(حديث آخر) قال الطبرانى حدثنا محمد بن محمد الجذوعى القاضى حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا محمد بن أبى عدى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب » قيل .من هم ، قال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ،وعلى ربهم يتوكلون » ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان وعنده ذكر عكاشة

(حديث آخر) ثبت فى الصحيحين من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الجنة من أمتى زمرة وهم سبعون ألفاً تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » قال أبو هريرة . فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله ﷺ « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله فقال « سبقك بها عكاشة »

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا أبو غسان عن أبى حازم عن السهل بن سعد أن النبي ﷺ قال « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً — أو سبعمائة ألف — آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » أخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبه عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن سهل به .

(حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال:أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة ، قلت أنا ثم قلت أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت قال فما صنعت ، قلت استرقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثناه الشعبى قال وما حدثكم الشعبى قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنه قال « لارقية إلا من عين أوحمة » قال قد أحسن من انتهى إلى ماسمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى ؛ فقيل لى هذا موسى وقومه .ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم . فقيل لى : انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام ولم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما الذى تخوضون فيه ؟» فأخبروه فقال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون . وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلنى منهم « قال أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم قال «سبقك بها عكاشة » وأخرجه البخارى عن أسيد بن زيد عن هشيم وليس عنده : لا يرقون .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً وفيه « فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يحاسبون ثم الذين

يلونهم كأضوأ نجم فى السماء » ثم كذلك وذكر بقيته ، رواه مسلم من حديث روح غير أنه لم يذكر النبي ﷺ

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم فى كتاب السنن له حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد سمعت أبا أمامة الباهلى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا ، مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربى عز وجل » وكذا رواه الطبرانى من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد

(طريق أخرى) عن أبى أمامة . قال ابن أبى عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهروى واسمه عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال « إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب » فقال يزيد بن الأخنس ، والله ما أولئك فى أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب فى الذباب قال رسول الله ﷺ « فإن الله وعدنى سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفا ، وزادنى ثلاث حثيات » وهذا أيضاً إسناد حسن

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثنى عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحثى ربى عز وجل بكفيه ثلاث حثيات » فكبر عمر وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله فى آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم وأرجو أن يجعلنى الله فى إحدى الحثيات الأواخر. قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسى فى كتابه صفة الجنة: لا أعلم لهذا الإسناد علة والله أعلم

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام يعنى الدستوائى حدثنا يحيى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهنى حدثه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد — أو قال بقديد — فذكر حديثا وفيه ثم قال « وعدنى ربى عز وجل أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ، وإنى لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن فى الجنة » قال الضياء : وهذا عندى على شرط مسلم

(حديث آخر) قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف » قال أبو بكر رضى الله عنه . زدنا يا رسول الله قال « والله هكذا » قال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر : دعنى وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا . قال عمر: إن الله[1] إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي ﷺ « صدق عمر » هذا الحديث بهذا الإسناد تفرد به عبد الرزاق . قال الضياء وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى قال : حدثنا محمد بن أحمد بن مخلد حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى مائة ألف » فقال له أبو بكر يا رسول الله زدنا قال « وهكذا » وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قلت يا رسول الله زدنا فقال عمر : إن الله قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله ﷺ « صدق عمر » هذا حديث غريب من هذا الوجه . وأبو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبى بصرى

(طريق أخرى) عن أنس . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن بكير حدثنا عبد القاهر بن السرى السلمى حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا » قالوا زدنا يا رسول الله قال « لكل رجل سبعون ألفا » قالوا زدنا وكان على كثيب فقالوا: فقال « هكذا » وحثا بيديه قالو يارسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا وهذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، ماعدا عبد القاهر بن السرى ، وقد سئل عنه ابن معين . فقال صالح .

(١) فى نسخة الأزهر : إن شاء الله

(حديث آخر) روى الطبرانى من حديث قتادة عن أبى بكر بن عمر عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلثمائة ألف الجنة بغير حساب» فقال عمر : يارسول الله زدنا فقال وهكذا بيده فقال عمر يارسول الله زدنا فقال عمر : حسبك إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بحفنة أو بحثية واحدة ، فقال نبى الله ﷺ : «صدق عمر»

(حديث آخر) قال الطبرانى حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام يقول حدثنى عبد الله بن عامر أن قيسا الكندى حدثه أن أبا سعيد الأنمارى حدثه أن رسول الله ﷺ قال « إن ربى وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفا ، ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه» كذا قال قيس فقلت لأبى سعيد آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بأذنى ووعاه قلبى قال أبو سعيد قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم «وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجرى أمتى ويوفى الله بقيته من أعرابنا » وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبى توبة الربيع بن نافع باسناده مثله وزاد : قال أبو سعيد ، فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألفا

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا هشيم بن مرثد الطبرانى حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أما والذى نفس محمد بيده ليبعثن منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لمجاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء » وهذا إسناد حسن

(حديث آخر[1]) من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عزوجل ، وأنها خير الأمم فى الدنيا والآخرة : قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابرا أنه سمع النبى ﷺ يقول «إنى لأرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال: فكبرنا ، ثم قال: « أرجو أن يكونوا ثلث الناس » قال : فكبرنا ثم قال : « أرجو أن يكونوا الشطر » وهكذا رواه عن روح عن ابن جريج به وهو على شرط مسلم. وثبت فى الصحيحين من حديث أبى إسحق السبيعى عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبرنا ، ثم قال « إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة »

(طريق أخرى) عن ابن مسعود : قال الطبرانى حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنى الحارث بن حصين حدثنى القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها » قالوا الله ورسوله أعلم قال « كيف أنتم وثلثها » قالوا . ذاك أكثر قال « كيف أنتم والشطر لكم » قالوا ذاك أكثر فقال رسول الله ﷺ « أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا » قال الطبرانى . تفرد به الحارث بن حصين

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيبانى عن محارب بن ديثار عن ابن بريدة عن أبيه أن النبى ﷺ قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف . هذه الأمة من ذلك ثمانون صفا » وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز به ، وأخرجه الترمذى من حديث أبى سنان به وقال : هذا حديث حسن ، ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثورى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه به

(حديث آخر) روى الطبرانى من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى حدثنا خالد بن يزيد البجلى حدثنا سليمان ابن على ابن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من أمتى » تفرد به خالد بن يزيد البجلى ، وقد تكلم فيه ابن عدى

(حديث آخر) قال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا موسى بن غيلان حدثنا هاشم بن مخلد حدثنا

(١) فى نسخة الأزهر : نوع آخر .

عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله ﷺ : « أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة »

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة . بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غداً لليهود وللنصارى بعد غد » رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا بنحوه ، ورواه مسلم أيضا من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة » وذكر تمام الحديث

(حديث آخر) روى الدارقطنى فى الافراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى » ثم قال : انفرد به ابن عقيل عن الزهرى، ولم يرو عنه سواه ، وتفرد به زهير بن محمد عن ابن عقيل، وتفرد به عمرو بن أبي سلمة عن زهير . وقد رواه أبو أحمد بن عدى الحافظ فقال : حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحق حدثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبي غياث حدثنا أبو حفص التنيسى حدثنا صدقة الدمشقى عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى . ورواه الثعلبي حدثنا أبو عباس المخلدى أنبأنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد أنبأنا أحمد ابن عيسى التنيسى حدثنا عمرو بن سلمة حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عقيل به

فهذه الأحاديث فى معنى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم فى هذا المدح[1] كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ثم قال من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها . رواه ابن جرير، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية: ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع فى ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) أى بما أنزل على محمد (لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) أى قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان

ثم قال تعالى مخبرا عباده المؤمنين ومبشراً لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين فقال تعالى (لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) هكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنوفهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة كلهم أذلهم الله ، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة فى غير ما موطن وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين ، ولا تزال عصابة الاسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم كذلك ، ويحكم بملة الاسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الاسلام . ثم قال تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) أى ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون (إلا بحبل من الله) أى بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة (وحبل من الناس) أى أمان منهم لهم كما فى الهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة ، وكذا عبد على أحد قولى العلماء قال ابن عباس (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) أى بعهد من الله وعهد من الناس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدى والربيع بن أنس . وقوله (وباءوا بغضب من الله) أى ألزموا : فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه (وضربت عليهم المسكنة) أى ألزموها قدرا وشرعا . ولهذا قال (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) أى إنما حملهم على ذلك الكبر والبغى والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة ثم قال تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا

(١) فى نسخة الأزهر : الثناء عليهم .

يعتدون) اى انما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله ، وقيضوا لذلك أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله والغشيان لمعاصى الله والاعتداء فى شرع الله ، فعياذا بالله من ذلك ، والله عزوجل المستعان . قال ابن ابى حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن سلمان الأعمش عن ابراهيم عن أبى معمر الأزدى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كانت بنو إسرئيل تقتل فى اليوم ثلثمائة نبى ثم يقوم سوق بقلهم فى آخر النهار

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

قال ابن أبى نجيح : زعم الحسن بن أبى يزيد العجلى عن ابن مسعود فى قوله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) قال : لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ ، وهكذا قال السدى . ويؤيد هذا القول الحديث الذى رواه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده حدثنا ابو النضر وحسن بن موسى قالا: حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم » قال فنزلت هذه الآيات (ليسوا سواء من أهل الكتاب — إلى قوله — والله عليم بالمتقين) والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحق وغيره ، ورواه العوفى عن ابن عباس — أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم أى لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى (ليسوا سواء) أى ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبى الله فهى قائمة يعنى مستقيمة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) أى يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن فى صلواتهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين) وهؤلاء هم المذكورون فى آخر السورة (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية ، ولهذا قال تعالى ههنا (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أى لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء (والله عليم بالمتقين) أى لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا ثم قال تعالى مخبراً عن الكفرة المشركين بأنه (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أى لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده بهم (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار فى هذه الدار قاله مجاهد والحسن والسدى فقال تعالى (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيه صر) أى برد شديد قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد ؛ وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد (فيها صر) أى نار وهو يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد ولاسيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشىء بالنار (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) أى فأحرقته يعنى بذلك السفعة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه . فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم فى هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه . وكذلك

هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أى يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أى يسعون فى مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعون من المكر والخديعة ؛ ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم وقوله تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم » أى من غيركم من أهل الأديان وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره . وقد روى البخارى والنسائى وغيرهما من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبى عتيق عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه ؛ والمعصوم من عصمه[1] الله وقد رواه الأوزاعى ومعاوية بن سلام عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا بنحوه ؛ فيحتمل أنه عند الزهرى عن أبى سلمة عنهما وأخرجه النسائى عن الزهرى أيضا ؛ وعلقه البخارى فى صحيحه فقال : وقال عبيد الله بن أبى جعفر عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة عن أبى أيوب الأنصارى مرفوعا فذكره ، فيحتمل أنه عند أبى سلمة عن ثلاثة من الصحابة والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان حدثنا عيسى بن يونس عن أبى حيان التيمى عن أبى الزنباع عن ابن أبى الدهقانة قال : قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إن ههنا غلاما من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتبا فقال . قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين . ففى هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم فى الكتابة التى فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل امورهم التى يخشى أن يفشوها إلى الاعداء من أهل الحرب ؛ ولهذا قال تعالى (لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم) وقال الحافظ : أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسرائيل حدثنا هشيم حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد قال : كانوا يأتون أنسا فاذا حدثهم بحديث لا يدرون ماهو أتوا الحسن يعنى البصرى فيفسره لهم قال : فحدث ذات يوم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيا » فلم يدروا ماهو ؛ فأتوا الحسن فقالوا له : إن أنسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيا » فقال الحسن : أما قوله « لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيا » محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قوله « لا تستضيئوا بنار المشركين » يقول لا تستشيروا المشركين فى أموركم . ثم قال الحسن . تصديق ذلك فى كتاب الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) هكذا رواه الحافظ ابو يعلى رحمه الله تعالى ؛ وقد رواه النسائى عن مجاهد بن موسى عن هشيم ؛ ورواه الامام أحمد عن هشيم باسناده مثله من غير ذكر تفسير الحسن البصرى ؛ وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر « لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيا » اى بخط عربى لئلا يشابه نقش خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان نقشه محمد رسول الله ؛ ولهذا جاء فى الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نقشه . وأما الاستضاءة بنار المشركين فمعناه لا تقاربوهم فى المنازل بحيث تكونون معهم فى بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم ، ولهذا

(١) فى نسخة الازهر : عصم

روى أبو داود « لاتتراءى ناراها » وفى الحديث الآخر « من جامع المشرك أوسكن معه فهو مثله » فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر والله أعلم .

ثم قال تعالى (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) أى قدلاح على صفحات وجوههم. وفلتات ألسنتهم من العداوة مع ماهم مشتملون عليه فى صدورهم من البغضاء للاسلام وأهله ما لايخفى مثله على لبيب عاقل ولهذا قال تعالى (قد بينالكم الآيات إن كنتم تعقلون) وقوله تعالى (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أى أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنا ولا ظاهراً (وتؤمنون بالكتاب كله) أى ليس عندكم فى شىء منه شك ولا ريب وهم عندهم الشك والريب والحيرة . وقال محمد بن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرعن ابن عباس (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم رواه ابن جرير (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) والأنامل أطراف الأصابع ، قاله قتادة

وقال الشاعر . * وما حملت كفاى أنملى العشرا *

وقال ابن مسعود والسدى والربيع بن أنس : الأنامل الأصابع ، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة وهم فى الباطن بخلاف ذلك من كل وجه كما قال تعالى (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وذلك أشد الغيظ والحنق قال الله تعالى (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ؛ ومعل كلمته ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) أى هو عليم بما تنطوى عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين وهو مجازيكم عليه فى الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون ، وفى الآخرة بالعذاب الشديد فى النار التى أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها . ثم قال تعالى (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك المنافقين ، وإن أصاب المسلمين سنة أى جدب أو أديل عليهم الأعداء ، لما لله تعالى فى ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد — فرح المنافقون بذلك قال الله تعالى مخاطبا للمؤمنين (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) الآية يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به . وهو الذى ما شاء كان . ومالم يشأ لم يكن . ولا يقع فى الوجود شىء إلا بتقديره ومشيئته ومن توكل عليه كفاه

ثم شرع تعالى فى ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين . والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان الصابرين[1] فقال تعالى

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

المراد بهذه الوقعة يوم أحد عند الجمهور قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغيرواحد . وعن الحسن البصرى المراد بذلك يوم الأحزاب . ورواه ابن جرير . وهوغريب لايعول عليه . وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة . قال قتادة . لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقال عكرمة . يوم السبت للنصف من شوال فالله أعلم وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التى كانت مع أبى سفيان[2] قال

(١) فى نسخة الأزهر : صبر الصابرين (٢) وفيها فلما رجع قفلهم .

أبناء من قتل ورؤساء من بقى لأبى سفيان ارصد هذه الأموال لقتال محمد فأنفقوها فى ذلك فجمعوا الجموع والأحابيش وأقبلوا فى نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة فصلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله ﷺ الناس « أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة » فأشار عبدالله بن أبى بالمقام بالمدينة فان أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين . وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرا بالخروج إليهم فدخل رسول الله ﷺ فلبس لامته وخرج عليهم ، وقد ندم بعضهم وقالوا لعلنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن شئت أن نمكث ، فقال رسول الله ﷺ « ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يرجع حتى يحكم الله له » فسار ﷺ فى ألف من أصحابه فلما كانوا بالشوط رجع عبد الله بن أبى بثلث الجيش مغضبا لكونه لم يرجع إلى قوله وقال هو وأصحابه : لو نعلم اليوم قتالا لاتبعناكم ولكنا لا نراكم تقاتلون . واستمر رسول الله ﷺ سائرا حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى . وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال « لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال » وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو فى سبعمائة من أصحابه . وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو ابن عوف . والرماة يومئذ خمسون رجلا فقال لهم « انضحوا الخيل عنا ولا تؤتين من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم » وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بنى عبد الدار . وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغلمان يومئذ وأخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين وتهيأ قريش وهم ثلاثة آلاف . ومعهم مائة فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد . وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ودفعوا اللواء إلى بنى عبد الدار ثم كان بين الفريقين ماسيأتى تفصيله فى موضعه[1] إن شاء الله تعالى. ولهذا قال تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) أى تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم (والله سميع عليم) أى سميع لما تقولون عليم بضمائركم

وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالا حاصله كيف تقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) الآية ثم كان جوابه عنه أن غدوه ليبوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار . وقوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الآية قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال : قال عمر سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الآية قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب ـ وقال سفيان مرة ـ وما يسرنى أنها لم تنزل لقوله تعالى (والله وليهما) وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وكذا قال غير واحد من السلف إنهم بنو حارثة وبنو سلمة . وقوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر) أى يوم بدر ، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، فيهم فارسان وسبعون بعيرا والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف فى سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلى الزائد ، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممتنا على عبادة المؤمنين وحزبه المتقين (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ـ إلى ـ غفور رحيم) . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك قال . سمعت عياضا الأشعرى قال شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد ، وعياض ـ وليس عياض هذا الذى حدث سماكا قال : وقال عمر : إذا كان قتالا فعليكم أبو عبيدة[2] قال فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه فكتب الينا انه قد جاءنى كتابكم تستمدوننى

(١) فى نسخة الأزهر عند هذه الآيات . (٢) أى أمير .

وإنى أدلكم على من هو أعز نصراً ، وأحصن جندا ، الله عز وجل فاستنصروه فان محمداً ﷺ قد نصر فى يوم بدر فى أقل من عدتكم فاذا جاءكم كتابى هذا فقاتلوهم ولا تراجعونى قال فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ قال : وأصبنا أموالا فتشاورنا فأشار علينا عياض أن نعطى عن كل ذى رأس عشرة قال : وقال أبو عبيدة : من يراهنى فقال شاب أنا إن لم تغضب قال : فسبقه فرأيت عقيصتى أبى عبيدة ينفران وهو خلفه على فرس أعرابى . وهذا إسناد صحيح . وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه ، وبدر محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها منسوبة إلى رجل حفرها يقال له بدر بن النارين ، قال الشعبى : بدر بئر لرجل يسمى بدراً : وقوله (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) أى تقومون بطاعته

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

اختلف المفسرون فى هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ على قولين (أحدهما) أن قوله (إذ تقول للمؤمنين) متعلق بقوله (ولقد نصركم الله ببدر) وهذا عن الحسن البصرى وعامر الشعبى والربيع بن أنس وغيرهم واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن فى قوله (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبى حاتم . ثم قال : حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا داود عن عامر يعنى الشعبى أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين — إلى قوله — مسومين) قال : فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمسة وقال الربيع بن أنس . أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف ، فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله فى قصة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين — إلى قوله — إن الله عزيز حكيم) ؟ فالجواب أن التنصيص على الألف ههنا لا ينافى الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله (مردفين) بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم . وهذا السياق شبيه بهذا السياق فى سورة آل عمران ، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر والله أعلم . وقال سعيد بن أبى عروبة[1] أمد[2] المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف (القول الثانى) إن هذا الوعد متعلق بقوله (وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى بن عقبة وغيرهم . لكن قالوا لم يحصل الامداد بالخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ ؛ زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا) فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد . وقوله تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا) يعنى تصبروا على مصابرة عدوكم وتتقونى وتطيعوا أمرى وقوله تعالى (ويأتوكم من فورهم هذا) قال الحسن وقتادة والربيع والسدى أى من وجههم هذا وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح أى من غضبهم هذا . وقال الضحاك . من غضبهم ووجههم . وقال العوفى عن ابن عباس . من سفرهم هذا ، ويقال من غضبهم هذا . وقوله تعالى (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) أى معلمين بالسيما وقال أبو إسحق السبيعى عن حارثة بن مضرب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سيماهم أيضا فى نواصى خيولهم ،

(١) فى نسخة الأزهر عن قتادة (٢) وفيها أمد الله المؤمنين

رواه ابن أبي حاتم . ثم قال حدثنا أبو زرعة حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه فى هذه الآية (مسوّمين) قال : بالعهن الأحمر ، وقال مجاهد : (مسومين) أى محذفة أعرافها معلمة نواصيها بالصوف الأبيض فى أذناب الخيل . وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: أتت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم(١) على سيماهم بالصوف وقال قتادة وعكرمة (مسومين) أى بسيما القتال : وقال مكحول . مسومين بالعمائم . وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله (مسومين) قال « معلمين » . وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ، ويوم حنين عمائم حمر » وروى من حديث حسين(٢) بن مخارق عن سعيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : قال لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وقال ابن إسحق حدثنى من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمر . ولم تضرب الملائكة فى يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون عددا ومددا لا يضربون ، ثم رواه عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأحمسى حدثنا وكيع حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد أن الزبير رضى الله عنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر ، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فذكره . وقوله تعالى (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به) أى وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بانزالهم إلا بشارة لكم وتطييبا لقلوبكم وتطمينا ، وإلا فإنما النصر من عند الله الذى لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم ، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ولهذا قال ههنا (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أى هو ذو العزة التى لا ترام ، والحكمة فى قدره والأحكام ثم قال تعالى (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) أى أمركم بالجهاد والجلاد لما له فى ذلك من الحكمة فى كل تقدير ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة فى الكفار المجاهدين فقال (ليقطع طرفاً) أى ليهلك أمة (من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا) أى يرجعوا (خائبين) أى لم يحصلوا على ما أملوا . ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم فى الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال تعالى (ليس لك من الأمر شىء) أى بل الأمر كله إلىّ كما قال تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) وقال (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وقال محمد بن إسحق فى قوله (ليس لك من الأمر شىء) أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ثم ذكر بقية الأقسام فقال (أو يتوب عليهم) أى مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة (أو يعذبهم) أى فى الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال (فإنهم ظالمون) أى يستحقون ذلك . وقال البخارى حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر عن الزهرى حدثنى سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الثانية من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شىء) الآية . وهكذا رواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق كلاهما عن معمر به . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل ـ قال أحمد . وهو عبد الله بن عقيل صالح الحديث ثقة ـ حدثنا عمرو بن حمزة عن سالم عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم العن فلانا وفلانا ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت هذه الآية (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) فتيب عليهم كلهم : وقال أحمد . حدثنا أبو معاوية العلائى حدثنا خالد بن الحارث حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة قال : فأنزل الله (ليس لك من الأمر شىء) إلى آخر الآية قال : وهداهم الله للاسلام : قال البخارى . قال محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان

(١) فى نسخة الأزهر : خيولهم (٢) وفيها حصين

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) الآية وقال البخارى أيضاً : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع وربما قال: إذا قال «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد : اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين . اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» يجهر بذلك . وكان يقول فى بعض صلاته فى صلاة الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا» لأحياء من أحياء العرب حتى أنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية .

وقال البخارى : قال حميد وثابت عن أنس بن مالك شج النبي ﷺ يوم أحد فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) وقد أسند هذا الحديث الذى علقه البخارى فى صحيحه فقال فى غزوة أحد : حدثنا يحيى بن عبد الله السلمى أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهرى حدثنى سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا » بعد مايقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية . وعن حنظلة بن أبى سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) هكذا ذكر هذه الزيادة البخارى معلقة مرسلة ، وقد تقدمت مسندة متصلة فى مسند أحمد آنفا

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج فى وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل » فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) انفرد به مسلم فرواه عن القعنبى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فذكره

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال : أصيب النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته ، وفرق حاجبه ، فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبى حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول « كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ؟» فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه ، ولم يقل فأفاق .

ثم قال تعالى (ولله مافى السموات ومافى الأرض) الآية أى الجميع ملك له ، وأهلهما عبيد بين يديه (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى هو المتصرف فلا معقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله غفور رحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطى الربا وأكله أضعافا مضاعفة كما كانوا فى الجاهلية يقولون إذا حل أجل الدين إما أن تقضى واما أن تربى فان قضاه وإلازاده فى المدة وزاده الآخر فى القدر وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفا وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون فى الأولى وفى الآخرة ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها فقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات فقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) أى كما أعدت النار للكافرين وقد قيل إن معنى قوله عرضها السموات والأرض تنبيها على اتساع طولها كما قال فى صفة فرش الجنة (بطائنها من إستبرق) أى فما ظنك بالظهائر وقيل بل عرضها كطولها لأنها قبة فيه تحت العرش والشىء المقبب والمستدير عرضه كطوله وقد دل على ذلك ما ثبت فى الصحيح «إذا سألتم الله الجنه فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن» وهذه الآية كقوله فى سورة الحديد (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) الآية وقد روينا فى مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبى ﷺ انك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار» وقد رواه ابن جرير فقال حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب أخبرنى مسلم بن خالد عن أبى خيثمة عن سعيد بن أبى راشد عن يعلى بن مرة قال لقيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخا كبيرا قد فسد فقال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال: قلت من صاحبكم الذى يقرأ؟ قالوا معاوية فإذا كتاب صاحبى. إنك كتبت تدعونى إلى جنة عرضها السموات والأرض[1] فأين النار قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار» وقال الأعمش وسفيان الثورى وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب. أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال لهم عمر. أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار فقالوا والله نزعت مثلها من التوراة؛ رواه ابن جرير من ثلاثة طرق. ثم قال حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم حدثنا جعفر بن برقان أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلا من أهل الكتاب قال: يقولون (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار فقال ابن عباس رضى الله عنه أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل وقد روى هذا مرفوعا فقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هاشم حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبدالله بن الأصم عن عمه يزيد بن الأصم عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال. أرأيت قوله تعالى (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شىء فأين النهار؟» قال حيث شاء الله قال «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عزوجل» وهذا يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون المعنى فى ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون فى مكان. وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم فى حديث أبى هريرة عن البزار (الثانى) أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب فان الليل يكون من الجانب الآخر فكذلك الجنة فى أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال الله عزوجل (كعرض السموات والأرض) والنار فى أسفل سافلين فلا تنافى بين كونها كعرض السموات والأرض بين وجود النار والله أعلم

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال (الذين ينفقون فى السراء والضراء) أى فى الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وفى جميع الأحوال كما قال (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والانفاق فى مراضيه. والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) أى إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم. وقد ورد فى بعض الآثار «يقول الله تعالى يا ابن آدم اذكرنى إذا غضبت، اذكرك إذا غضبت فلا أهلك فيمن أهلك»

(١) فى نسخة: زيادة أعدت للمتقين

رواه ابن أبي حاتم . وقد قال أبو يعلى فى مسنده : حدثنا أبو موسى الزمن حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل حدثنى الربيع بن سليمان النميرى عن أبى عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » وهذا حديث غريب وفى إسناده نظر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبدالرحمن حدثنا مالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « ليس الشديد بالصرعة(١) ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وقد رواه الشيخان من حديث مالك : وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمى عن الحارث بن سويد عن عبد الله وهو ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله » قالوا : يا رسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب اليه من مال وارثه قال « اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب اليه من ماله مالك من مالك إلا ما قدمت وما لوارثك إلا ما أخرت » قال : وقال رسول الله ﷺ « ما تعدون الصرعة فيكم ! قلنا الذى لاتصرعه الرجال قال « لا ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب » قال : وقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما الرقوب » قلنا الذى لا ولد له قال « لا ، ولكن الرقوب الذى لايقدم من ولده شيئا » أخرج البخارى الفصل الأول منه وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش به (حديث آخر) . قال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجعفى يحدث عن أبى حصبة أو ابن أبى حصين عن رجل شهد النبى ﷺ يخطب فقال « أتدرون(٢) ماالرقوب ! » قلنا الذى لا ولد له قال « الرقوب كل الرقوب الذى له ولد فمات ولم يقدم منهم شيئا » قال « أتدرون من الصعلوك » ! قالوا الذى ليس له مال فقال النبى ﷺ « الصعلوك كل الصعلوك الذى له مال فمات ولم يقدم منه شيئا » قال : ثم قال النبى ﷺ « ما الصرعة » ! قالوا : الصريع الذى لا تصرعه الرجال : فقال ﷺ « الصرعة كل الصرعة الذى يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه » (حديث آخر) : قال الإمام أحمد . حدثنا ابن نمير حدثنا هشام هو ابن عروة عن أبيه عن الأحنف بن قيس عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدى أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله قل لى قولا ينفعنى وأقلل علىّ لعلى أعيه : فقال رسول الله ﷺ : « لا تغضب » فأعاد عليه حتى أعاد عليه مراراً كل ذلك يقول « لا تغضب » وهكذا رواه عن أبى معاوية عن هشام به ، ورواه أيضا عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به . أن رجلا قال : يارسول الله قل لى قولا وأقلل علىّ لعلى أعقله : فقال « لاتغضب » الحديث انفرد به أحمد (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : قال رجل يارسول الله أوصنى قال : « لاتغضب » قال الرجل ففكرت حين قال النبى صلى الله عليه وسلم ماقال فإذا الغضب يجمع الشر كله ، انفرد به أحمد(حديث آخر)قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا داود بن أبى هند عن أبى حرب بن أبى الأسود عن أبى الأسود عن أبى ذر رضى الله عنه : قال كان يسقى على حوض له فجاء قوم فقالوا : أيكم يورد على أبى ذر ويحسب شعرات من رأسه ، فقال رجل : أنا فجاء فأورد على(٣) الحوض فدقه ، وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له ، يا أباذر لم جلست ثم اضطجعت : فقال . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع فى روايته عن أبى حرب عن أبى ذر والصحيح ابن أبى حرب عن أبيه عن أبى ذر كما رواه عبدالله بن أحمد عن أبيه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا أبو وائل الصنعانى قال : كنا جلوسا عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه فلما أن أغضبه(٤) قام ثم عاد إلينا وقد توضأ فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية هو ابن سعد السعدى — وقد كانت له صحبة — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » وهكذا رواه أبو داود من حديث إبراهيم بن خالد الصنعانى عن أبى وائل القاص المرادى الصنعانى قال أبو داود . أراه عبد الله بن بحير (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن

(١) الصرعة بضم ففتح . (٢) فى نسخة الأزهر : ماتعدون فيكم (٣) وفيها عليه : (٤) وفيها : غضب .

يزيد حدثنا نوح بن معاوية(١) السلمى عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة حزن بربوة ـ ثلاثا ـ ألا إن عمل النار سهل بسهوة . والسعيد من وقى الفتن ، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً » انفرد به أحمد وإسناده حسن ليس فيه مجروح ومتنه حسن (حديث آخر فى معناه) قال أبوداود حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عبدالرحمن يعنى ابن مهدى عن بشر يعنى ابن منصور عن محمد بن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمناً وإيمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه ـ قال بشر أحسبه قال تواضعا ـ كساه الله حلة الكرامة ومن توج لله كساه الله تاج الملك » (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد قال : حدثنا سعيد حدثنى أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء » ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن أبى أيوب به وقال الترمذى : حسن غريب (حديث آخر) قال : عبد الرزاق أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عم له عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أن النبى ﷺ قال : « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله جوفه أمناً وإيمانا » (حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد أنبأنا يحيى ابن أبى طالب أنبأنا على بن عاصم أخبرنى يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » رواه ابن جرير ، وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد به فقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أى لا يعملون غضبهم فى الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عزوجل . ثم قال تعالى (والعافين عن الناس) أى مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم فى أنفسهم فلا يبقى فى أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل الأحوال ولهذا قال (والله يحب المحسنين) فهذا من مقامات الإحسان وفى الحديث « ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله » وروى الحاكم فى مستدركه من حديث موسى بن عقبة عن إسحق بن يحيى بن أبى طلحه القرشى عن عبادة بن الصامت عن أبىّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أورده ابن مردويه من حديث على وكعب بن عجرة وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله عنهم بنحو ذلك وروى عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة » وقوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) أى إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام بن يحيى عن إسحق بن عبدالله بن أبى طلحة عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « إن رجلا أذنب ذنبا فقال : رب إنى أذنبت ذنباً فاغفره لى فقال الله عزوجل : عبدى عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ، ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب إنى عملت ذنبا فاغفره فقال تبارك وتعالى علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال رب إنى عملت ذنبا فاغفره لى فقال عزوجل علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب إنى عملت ذنبا فاغفره فقال الله عزوجل عبدى علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى فليعمل ماشاء » أخرجاه فى الصحيحين من حديث إسحق بن أبى طلحة بنحوه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا حدثنا زهير حدثنا سعد الطائى حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة قلنا يارسول الله : إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد فقال « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى كنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى

(١) فى نسخة الأزهر : جعونة

بيوتكم . ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم» قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال «لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يبأس ؛ ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول له الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » ورواه الترمذى وابن ماجه من وجه آخر من حديث سعد به ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا وكيع حدثنا مسعر وسفيان الثورى عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن على بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزارى عن على رضى الله عنه قال كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله بما شاء منه . وإذا حدثنى عنه غيره استحلفته فإذا حلف لى صدقته ؛ وإن أبا بكر رضى الله عنه حدثنى وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن رجل يذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء ـ قال مسعر ـ فيصلى ـ وقال سفيان ـ ثم يصلى ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له » وهكذا رواه على بن المدينى والحميدى وأبو بكر بن أبى شيبة وأهل السنن وابن حبان فى صحيحه والبزار والدارقطنى من طرق عن عثمان بن المغيرة به، وقال الترمذى . هو حديث حسن، وقد ذكرنا طرقه والكلام عليه مستقصى فى مسند أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وبالجملة فهو حديث حسن وهو من رواية أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن خليفة النبى ﷺ أبى بكر رضى الله عنهما ، ومما يشهد لصحة هذا الحديث ما رواه مسلم فى صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وفى الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبى ﷺ ثم قال . سمعت النبى ﷺ يقول « من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، عن سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين، كما دل عليه الكتاب المبين، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين ، وقد قال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: بلغنى أن إبليس حين نزلت هذه الآية (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية بكى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محرز بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبى نضرة عن أبى رجاء عن أبى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما فان إبليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون » عثمان ابن مطر وشيخه ضعيفان وروى الإمام أحمد فى مسنده من طريق عمرو بن أبى عمرو وأبى الهيثم العتوارى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « قال إبليس : يارب وعزتك لا أزال أغوى بنى آدم مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الله تعالى . وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى » وقال الحافظ أبو بكر البزار . حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمر بن خليفة[1] سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت عن أنس قال جاء رجل فقال يارسول الله إنى أذنبت ذنبا فقال رسول الله ﷺ « إذا أذنبت فاستغفر ربك قال فإنى أستغفر ثم أعود فأذنب قال فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك فقالها فى الرابعة وقال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله) أى لا يغفرها أحد سواه كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا سلام بن مسكين والمبارك[2] عن الأسود بن سريع أن النبى ﷺ أتى بأسير فقال : اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبى ﷺ « عرف الحق لأهله » وقوله (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) أى تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده . حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل وغيره قالوا : حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحمانى عن عثمان بن واقد عن أبى نضرة عن مولى لأبى بكر عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » ورواه أبو داود

(١) فيها ابن أبى خليفة (٢) وفيها عن الحسن

والترمذى والبزار فى مسنده من حديث عثمان بن واقد — وقد وثقه يحيى بن معين به — وشيخه أبو نصر القاسطى واسمه سالم بن عبيد وثقه الإمام أحمد وابن حبان، وقول على بن المدينى والترمذى: ليس إسناد هذا الحديث بذاك فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبى بكر ولكن جهالة مثله لاتضر لأنه تابعى كبير ويكفيه نسبته إلى أبى بكر فهو حديث حسن والله أعلم . وقوله (وهم يعلمون) وقال مجاهد وعبدالله بن عبيد بن عمير (وهم يعلمون) أن من تاب تاب الله عليه وهذا كقوله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده)وكقوله (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) ونظائر هذا كثيرة جداً .وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أنبأنا جرير حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعبى عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو على المنبر « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم، ويل لاقماع القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » تفرد به أحمد . ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أى جزاؤهم على هذه الصفات مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار) أى من أنواع المشروبات (خالدين فيها) أى ماكثين فيها (ونعم أجر العاملين) يمدح تعالى الجنة .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين لما (١) أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون (قد خلت من قبلكم سنن)أى قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين ولهذا قال تعالى (فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)ثم قال تعالى (هذا بيان للناس) يعنى القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم (وهدى وموعظة) يعنى القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى لقلوبكم وموعظة أى زاجر عن المحارم والمآثم . ثم قال تعالى مسليا للمؤمنين (ولا تهنوا) أى لا تضعفوا بسبب ما جرى (ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) أى العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون (إن يمسسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله)أى إن كنتم قدأصابتكم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أى نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا فى ذلك من الحكمة، ولهذا قال تعالى(وليعلم الله الذين آمنوا)قال ابن عباس : فى مثل هذا لنرى من يصبر على مناجزة الأعداء(ويتخذ منكم شهداء)يعنى يقتلون فى سبيله ويبذلون مهجهم فى مرضاته (والله لا يحب الظالمين *وليمحص الله الذين آمنوا) أى يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب. وإلا رفع لهم فى درجاتهم بحسب ما أصيبوا به . وقوله (ويمحق الكافرين) أى فانهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم ثم قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد ، كما قال تعالى فى سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) الآية. وقال تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآية ولهذا قال ههنا (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أى لا يحصل لكم دخول الجنة

(١) فيها الذين .

حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين فى سبيله ، والصابرين على مقاومة الأعداء . وقوله (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتحترقون عليه وتودون مناجزتهم ومصابرتهم فها قد حصل لكم الذى تمنيتموه وطلبتموه فدونكم فقاتلوا وصابروا . وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لاتتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ولهذا قال تعالى (فقد رأيتموه) يعنى الموت شاهدتموه وقت[1] حد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل . وهو مشاهدة ماليس بمحسوس كالمحسوس كما تخيل الشاة صداقة الكبش ، وعداوة الذئب

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

لما انهزم ما انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمداً قدقتل ، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم : قتلت محمداً ، وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه فى رأسه ، فوقع ذلك فى قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك كما قدقص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال ففى ذلك أنزل الله تعالى (وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل) أى له أسوة بهم فى الرسالة وفى جواز القتل عليه قال ابن أبى نجيح عن أبيه : ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال له : يافلان أشعرت أن محمدا ﷺ قدقتل ، فقال الأنصارى : إن كان محمد قدقتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل (وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل) رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة . ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف (أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم) أى رجعتم القهقرى (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) أى الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه ، واتبعوا رسوله حياوميتا . وكذلك ثبت فى الصحاح والمساند والسنن وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقدذكرت ذلك فى مسندى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن الصديق رضى الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله ﷺ . وقال البخارى : حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرنى أبوسلمة أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن أبا بكر رضى الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغطى[2] بثوب حبرة : فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين : أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها وقال الزهرى : وحدثنى أبوسلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم[3] الناس وقال : اجلس ياعمر قال أبو بكر : أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قدمات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت قال الله تعالى (وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل ـ إلى قوله ـ وسيجزى الله الشاكرين) قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر ، فتلاها منه الناس كلهم فما أسمع[4] بشرا من الناس إلا يتلوها وأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ماتقلنى رجلاى ، وحتى هويت إلى الأرض . وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا على

(١) فيها : لمعان السيوف . (٢) وفيها : مغشى . (٣) وفيها : يحدث . (٤) وفيها : فما سمعها بشر من الناس إلا تلاها .

ابن عبد العزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أن عليا كان يقول فى حياة رسول الله ﷺ (أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم) والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أوقتل لأقاتلن على ماقاتل عليه حتى أموت ، والله إنى لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به منى . وقوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) أى لايموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفى المدة التى ضربها الله له ، ولهذا قال (كتابا مؤجلا) كقوله (وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره إلا فى كتاب) وكقوله (هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم فى القتال فإن الاقدام والاحجام لاينقص من العمر ولايزيد فيه كما قال ابن أبى حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال : سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن ظبيان قال : قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدى : مايمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة — يعنى دجلة — ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا . ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم أقحم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان فهربوا . وقوله (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أى من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ماقدره الله له ، ولم يكن له فى الآخرة من نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له فى الدنيا كما قال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) ولهذا قال ههنا (وسنجزى الشاكرين) أى سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا فى الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم ثم قال تعالى مسلياً للمؤمنين عما كان وقع فى نفوسهم يوم أحد (وكأين من نبىّ قاتل معه ربيون كثير)قيل : معناه كم من نبى قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير . وهذا القول هو اختيار ابن جرير فانه قال : وأما الذين قرأوا (قتل معه ربيون كثير) فانهم قالوا إنما عنى بالقتل النبى وبعض من معه من الربيين دون جميعهم ، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقى من الربيين ممن لم يقتل ، قال : ومن قرأ قاتل فانه اختار ذلك لأنه قال : لوقتلوا لم يكن لقول الله (فما وهنوا) وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ماقتلوا ، ثم اختار قراءة من قرأ (قتل معه ربيون كثير) لأن الله عاتب بهذه الآيات والتى قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم (أفإن مات أوقتل) أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و (انقلبتم على أعقابكم) وقيل : وكم من نبى قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير ، وكلام ابن إسحق فى السيرة يقتضى قولا آخر فانه قال وكأين من نبى أصابه القتل ومعه ربيون أى جماعات فما وهنوا بعد نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر (والله يحب الصابرين) فجعل قوله (معه ربيون كثير) حالا ، وقد نصر هذا القول السهيلى وبالغ فيه ، وله اتجاه لقوله (فما وهنوا لما أصابهم) الآية ، وكذا حكاه الأموى فى مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره ، وقرأ بعضهم (قاتل معه ربيون كثير) أى ألوف ، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدى والربيع وعطاء الخراسانى : الربيون الجموع الكثيرة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن (ربيون كثير أى علماء كثير ، وعنه أيضاً : علماء صبر أى أبرار أتقياء . وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل ، قال : وزد بعضهم عليه فقال : لوكان كذلك لقيل الربيون بفتح الراء ، وقال ابن زيد . الربيون الأتباع والرعية والربابيون الولاة (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا) قال قتادة والربيع ابن أنس . (وما ضعفوا) بقتل نبيهم (وما استكانوا) يقول : فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على ماقاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله ، وقال ابن عباس (وما استكانوا) تخشعوا ، وقال ابن زيد : وماذلوا لعدوهم وقال محمد بن إسحق والسدى وقتادة : أى ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم (والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) أى لم يكن لهم هجير[1] إلا ذلك (فآتاهم الله ثواب

(١) الهجير والهجيرة ، والهجرى بكسر الهاء وتشديد الجيم : الدأب والعادة كالذى يكثر جريانه على اللسان .

الدنيا) أى النصر والظفر والعاقبة (وحسن ثواب الآخرة) أى جمع لهم ذلك مع هذا (والله يحب المحسنين)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الردى فى الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه فقال تعالى (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) ثم بشرهم بأنه سيلقى فى قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم مع ما ادخره لهم فى الدار الآخرة من العذاب والنكال فقال (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) وقد ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا، وأحلت لى الغنائم ، وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن سليمان التيمى عن سيار عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال « فضلنى الله على الأنبياء - أو قال على الأمم - بأربع ، أرسلت إلى الناس كافة ، وجعلت لى الأرض كلها ولأمتى مسجداً وطهوراً فأينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف فى قلوب أعدائى ، وأحلت لى الغنائم» ورواه الترمذى من حديث سليمان التيمى عن سيار القرشى الأموى مولاهم الدمشقى سكن البصرة عن أبى أمامة صدى بن عجلان رضى الله عنه به وقال. حسن صحيح. وقال سعيد بن منصور : أنبأنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نصرت بالرعب على العدو » ورواه مسلم من حديث ابن وهب . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن أبى بردة عن أبيه أبى موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لى الأرض طهورا ومسجداً وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن كان قبلى ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة[1] وإنى قد اختبأت شفاعتى لمن مات لا يشرك بالله شيئا» تفرد به أحمد . وروى العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) قال قذف الله فى قلب أبى سفيان الرعب فرجع إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا ، وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب » رواه ابن أبى حاتم . وقوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) قال ابن عباس ، وعدهم الله النصر وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين فى قوله تعالى (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) أن ذلك كان يوم أحد لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للاسلام فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة تأخر الوعد الذى كان مشروطا بالثبات

(١) فى نسخة الأزهر : شفاعته

والطاعة ولهذا قال (ولقد صدقكم الله وعده) أى أول النهار (إذ تحسونهم) أى تقتلونهم (بإذنه) أى بتسليطه إياكم عليهم (حتى إذا فشلتم) وقال ابن جريج، قال ابن عباس الفشل الجبن (وتنازعتم فى الأمر وعصيتم) كما وقع للرماة (من بعد ما أراكم ما تحبون) وهو الظفر بهم (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين رغبوا فى المغنم حين رأوا الهزيمة (ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم (ولقد عفا عنكم) أى غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم قال ابن جريج : قوله (ولقد عفا عنكم) قال لم يستأصلكم وكذا قال محمد بن إسحق رواها ابن جرير (والله ذو فضل على المؤمنين) قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله[1] عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله النبى ﷺ فى موطن كما نصره يوم أحد فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس : بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول فى يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) يقول ابن عباس والحسن الفشل[2] (حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الآية، وإنما عنى بهذا الرماة ، وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع وقال « احموظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا » فلما غنم النبى ﷺ وأناخوا[3] عسكر المشركين أكب الرماة جميعا فى العسكر ينهبون ، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم هكذا ـ وشبك بين يديه ـ وانتشبوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب بعضهم بعضا والتسبوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان النصر لرسول الله ﷺ أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المشركون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما كانوا تحت المهراس ، وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشكوا به أنه حق ، فلا زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بكتفيه إذا مشى قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال: فرقى نحونا وهو يقول « اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » ويقول مرة أخرى « ليس لهم أن يعلونا[4] » حتى انتهى إلينا فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح فى أسفل الجبل اعل هبل ـ مرتين يعنى إلهه ـ أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله ألا أجيبه قال « بلى » فلما قال : اعل هبل قال عمر : الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان قد أنعمت قال عنها فقال أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر .قال: فقال أبو سفيان. يوم بيوم بدر ،الأيام دول وإن الحرب سجال قال : فقال عمر .لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال : انكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا اذن فقال أبو سفيان انكم ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا قال : ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه إن كان ذلك لم نكرهه هذا حديث غريب وسياق عجيب وهو من مرسلات ابن عباس فانه لم يشهد أحدا ولا أبوه وقد أخرجه الحاكم فى مستدركه عن أبى النضر الفقيه عن عثمان بن سعيد عن سليمان بن داود بن على بن عبد الله بن عباس به وهكذا رواه ابن أبى حاتم والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمى به ولبعضه شواهد فى الصحاح وغيرها ـ فقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن الشعبى عن ابن مسعود قال ان النساء كن يوم أحد اخلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس منا أحد يريد الدنيا حتى أنزل الله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد النبى ﷺ فى تسعة ، سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم ﷺ ، فلما أرهقوه قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » قال فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما أرهقوه أيضا قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » فلم يزل يقول [illegible] السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه « ما أنصفنا أصحابنا » فجاء أبو سفيان فقال اعل هبل فقال رسول الله ﷺ «قولوا الله أعلى وأجل » فقالوا : الله أعلى وجل فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله ﷺ « قولوا : الله مولانا والكافرون لا مولى لهم » فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر . فيوم علينا ويوم لنا . ويوم نساء ويوم نسر : حنظلة بحنظلة

(١) فى نسخة الأزهر : أبى عبد الله (٢) كذا بالنسخ .(٣) فى نسخة الأزهر : أزاحوا (٤) فيها اللهم انه .

وفلان بفلان : فقال رسول الله ﷺ : « لاسواء : أماقتلانا فأحياء يرزقون ؛ وأماقتلاكم ففي النار يعذبون » فقال أبو سفيان : لقد كان في القوم مثلة وإن كانت لعن غير ملامنا ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرني ، قال : فنظروا فإذاحمزة قد بقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ : « أكلت شيئاً » ؟ قالوا : لا قال « ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة في النار » قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة حتى جيء بآخر فوضع إلى جنب حمزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حمزة ، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة ، تفرد به أحمد أيضاً

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال « لاتبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا » فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن . قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله بن جبير : عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لاتبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلا فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ، فقال « لاتجيبوه » فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : « لا تجيبوه » . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ، فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأ ! فلم يملك عمر نفسه فقال له كذبت ياعدوالله أبقى الله لك مايحزنك ؛ قال أبوسفيان : اعل هبل فقال النبي ﷺ « أجيبوه » قالوا : ماتقول ؟ قال « قولوا : الله أعلى وأجل » قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أجيبوه » قالوا ما نقول ؟ قال « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » قال أبوسفيان يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ؛ وستجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ؛ تفرد به البخاري من هذا الوجه؛ ثم رواه عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية عن أبي إسحق عن البراء بنحوه ؛ وسيأتي بأبسط من هذا — وقال البخاري أيضا : حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا أبوأسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس . أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أبي أبي قال : قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم قال عروة : فوالله مازالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله[1] عزوجل . وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير[2] عن جده أن الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحباتها مشمرات هوارب مادون أخذهن كثير ولاقليل ، ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأوتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إن محمداً قدقتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعدأن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم . قال محمد بن إسحق . فلم يزل لواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش فلاثوابها . وقال السدي عن عبد خير عن علي بن[3] عبدالله بن مسعود قال ما كنت أرى ان أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ماترل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقد روى من غير وجه عن ابن مسعود وكذا روى عن عبد الرحمن بن عوس وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في تفسيره وقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) قال ابن إسحق حدثني القاسم بن عبدالرحمن بن رافع أحد بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم فقال مايجلسكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله ﷺ قال فماتصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على مامات عليه ؛ ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه — وقال البخاري حدثنا حسان بن حسان حدثنا محمد بن طلحة حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يعني أنس بن النضر غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أجد فلقي يوم أحد فهزم الناس فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعني المسلمين — وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ؛ فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال : أين ياسعد إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى

(١) في نسخة الأزهر : لقي الله . (٢) وفيها . عن أبيه . (٣) وفيها : عند جواب .

فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم ، هذا لفظ البخارى ؛ وأخرجه مسلم من حديث ثابت بن أنس بنحوه ـ وقال البخارى أيضا : حدثنا عبدان حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا . هؤلاء قريش قال : من الشيخ ؟ قالوا: ابن عمر فأتاه فقال إنى سائلك عن شىء فحدثنى قال سل قال : أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها قال : نعم قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم فكبر فقال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتنى عنه أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ؛ وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه » وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان إلى مكة فقال النبى ﷺ بيده اليمنى «هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال « هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك» ثم رواه البخارى من وجه آخر عن أبى عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب

وقوله تعالى (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد) أى صرفكم عنهم إذ تصعدون أى فى الجبل هاربين من أعدائكم . وقرأ الحسن وقتادة (إذ تصعدون) أى فى الجبل (ولا تلوون على أحد) أى وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب (والرسول يدعوكم فى أخراكم) أى وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكرة . قال السدى لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها . فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس «إلىّ عباد الله ، إلىّ عباد الله» فذكر الله صعودهم إلى الجبل ، ثم ذكر دعاء النبى ﷺ إياهم فقال (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم) وكذا قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد . وقال عبد الله بن الزبعرى : يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد فى قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التى يقول فى أولها

يا غراب البين أسمعت فقل * إنما تنطق شيئاً قد فعل * إن للخير وللشر مدى * وكلا ذلك وجه وقبل

إلى أن قال : ليت أشياخى ببدر يشهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حلت بقباء بركها * واستحر القتل فى عبد الأشل * ثم خفوا عند ذا كم رقصا

رقص الحفان يعلو فى الجبل * فقتلنا الضعف من أشرافهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل

الحفان صغار النعم . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أفرد فى اثنى عشر رجلا من أصحابه كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحق عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبد الله بن جبير قال : ووضعهم موضعاً وقال « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم » قال فهزموهم قال : فلقد والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله : الغنيمة أى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة . فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا مهزمين فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين ، سبعين أسيراً وسبعين قتيلا . قال أبو سفيان : أفى القوم محمد أفى القوم محمد أفى القوم محمد؟ ـ ثلاثا ـ قال . فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة . أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب أفى القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال ، أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد أبقى الله لك ما يسوؤك فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال . إنكم ستجدون فى القوم مثلة

لم آمرها ولم تسؤنى . ثم أخذ يرتجز يقول اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوه؟ » قالوا : يارسول الله ما نقول ؟ قال « قولوا الله أعلى وأجل » قال لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوه ؟ » قالوا يارسول الله وما نقول ؟ قال « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وقد رواه البخارى من حديث زهير بن معاوية مختصراً ، ورواه من حديث إسرائيل عن أبى إسحق بأبسط من هذا كما تقدم والله أعلم — وروى البيهقى فى دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزية عن أبى الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد وبقى معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد فى الجبل ، فلحقهم المشركون فقال « ألا أحد لهؤلاء» فقال : طلحة أنا يا رسول الله فقال « كما أنت ياطلحة» ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقى معه ثم قتل الأنصارى فلحقوه فقال « ألا رجل لهؤلاء » فقال طلحة مثل قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار ؛ فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول فيقول طلحة فأنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوها فقال رسول صلى الله عليه وسلم « من لهؤلاء ؟ » فقال طلحة : أنا فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال حس[1] : فقال رسول الله « لو قلت باسم الله وذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك فى جو السماء » ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون. وقد روى البخارى عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى لله عليه وسلم يعنى يوم أحد — وفى الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى عثمان النهدى قال : لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا طلحة بن عبيد الله وسعد عن حديثهما[2]. وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هشام بن هشام الزهرى قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : نثل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد وقال « ارم فداك أبى وأمى » ، وأخرجه البخارى عن عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية وقال محمد بن إسحق حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبى وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل ويقول « ارم فداك أبى وأمى » حتى إنه ليناولنى السهم ليس له نصل فأرمى به — وثبت فى الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبى ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام — وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد وثابت عن أنس بن مالك : أن رسول صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار واثنين من قريش، فلما أرهقوه قال «من يردهم عنا وله الجنة ـ أو وهو رفيقى فى الجنة ـ» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم أرهقوه أيضا فقال « من يردهم عنا وله الجنة» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه « ما أنصفنا أصحابنا » رواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه. وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال: كان أبى بن خلف أخو بنى جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال « بل أنا أقتله إن شاء الله » فلما كان يوم أحد أقبل أبى فى الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فحمل على رسول صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة وطعنة فيها بحربته فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له: ما أجزعك إنما هو خدش ؟ فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل أنا أقتله أيبا » ثم قال. والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون،

(١) : فحس بكسر الحاء وتشديد السين كلمة يقولها من اصابه شىء غفلة ما آلمه او أحرقه فيها (٢) هنا بياض بالنسخة الأميرية

فمات إلى النار (فسحقا لأصحاب السعير)وقد رواه موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى عن سعيد بن المسيب بنحوه ـ وذكر محمد بن إسحق قال : لما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول :لانجوت إن نجوت فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله ﷺ « دعوه » فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم كما ذكر لى فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً ـ وذكر الواقدى عن يونس بن بكير عن محمد(١) بن إسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك . وقال الواقدى وكان ابن عمر يقول مات أبى بن خلف ببطن رابغ ، فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل فإذا أنا بنار تتأجج لى فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها يهيج به العطش، وإذا رجل يقول لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبى بن خلف ـ وثبت فى الصحيحين من رواية عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله ﷺ ـ وهو حينئذ يشير إلى رباعيته ـ واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله » وأخرجه البخارى أيضا من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس. قال اشتد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فى سبيل الله واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ ـ وقال ابن إسحق : أصيبت رباعية رسول الله ﷺ ، وشج فى وجنته ، وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص . فحدثنى صالح بن كيسان عن من حدثه عن سعد بن أبى وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان ماعلمته لسيىء الخلق مبغضا فى قومه ، ولقد كفانى فيه قول رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ » ـ وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن عثمان الحريرى عن مقسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبى وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال « اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً » فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار ـ وذكر الواقدى عن ابن أبى سبرة عن إسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبى الحويرث عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتى من كل ناحية ورسول الله ﷺ فى وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يومئذ يقول : دلونى على محمد لانجوت إن نجا ورسول الله ﷺ إلى جنبه ليس معه أحد، ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال : والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع ،خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك. قال الواقدى : والذى ثبت عندنا أن الذى دمى وجنتى رسول الله ﷺ ابن قميئة، والذى دمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبى وقاص : وقال أبو داود الطيالسى حدثنا ابن المبارك عن إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرنى عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ،ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه وأراه قال حمية فقلت : كن طلحة حيث فاتنى ما فاتنى فقلت يكون رجلا من قومى أحب إلى وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشى خطفا لا أعرفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه ، وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر فقال رسول الله ﷺ « عليكم صاحبكم يريد طلحة » وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقى لما تركتنى فتركته ،فكره أن يتناولها بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لأصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى ، قال ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى ، ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الحفار ، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصبعه ،

(١) فى نسخة الأزهر : يونس .

فأصلحنا من شأنه، ورواه الهيثم بن كليب والطبرانى من حديث إسحق بن يحيى به. وعند الهيثم قال أبو عبيدة أنشدك الله يا أبا بكر ألا تركتنى ؟ فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه كراهية أن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية أبى عبيدة ، وذكر تمامه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه ، وقد ضعف على بن المدينى هذا الحديث من جهة إسحق بن يحيى هذا فانه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وأحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائى وغيرهم — وقال ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكا أبا أبى سعيد الخدرى لما جرح النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص الجرح حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل له مجه فقال ، لا والله لا أمجه أبدا ، ثم أدبر يقاتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » فاستشهد — وقد ثبت فى الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن سهل بن سعد أنه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم فكانت فاطمة تغسل الدم وكان على يسكب عليه الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم وقوله تعالى (فأثابكم غما بغم) أى فجزاكم غما على غم كما تقول العرب نزلت ببنى فلان ، ونزلت على بنى فلان وقال ابن جرير : وكذا قوله (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل قال ابن عباس : الغم الأول بسبب الهزيمة وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثانى حين علاهم المشركون فوق الجبل ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « اللهم ليس لهم أن يعلونا » . وعن عبد الرحمن بن عوف : الغم الأول بسبب الهزيمة ، والثانى حين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة ، رواهما ابن مردويه . وروى عن عمر بن الخطاب نحو ذلك وذكر ابن أبى حاتم عن قتادة نحو ذلك أيضا . وقال السدى : الغم الأول بسبب مافاتهم من الغنيمة والفتح ، والثانى بإشراف العدو عليهم . وقال محمد بن إسحق (فأثابكم غما بغم) أى كربا بعد كرب قتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وما وقع فى أنفسكم من قول : قتل نبيكم ، فكان ذلك متتابعا عليكم غما بغم . وقال مجاهد وقتادة . الغم الأول سماعهم قتل محمد ، والثانى ما أصابهم من القتل والجراح . وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه . وعن السدى . الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة ، والثانى إشراف العدو عليهم وقد تقدم هذا القول عن السدى . قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال (فأثابكم غما بغم) فأثابكم نعمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذى كان قد أراكم فى كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، غم ظنكم أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم ونبوكم منهم وقوله تعالى (لكيلا تحزنوا على مافاتكم) أى على مافاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم (ولا ما أصابكم) من الجراح والقتل قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقتادة والسدى (والله خبير بما تعملون) سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذى غشيهم وهم مشتملون السلاح فى حال همهم وغمهم والنعاس فى مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال فى سورة الانفال فى قصة بدر (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) الآية وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم ووكيع عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بن مسعود. قال النعاس فى القتال من الله وفى الصلاة من الشيطان وقال البخارى وقال لى خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبى طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مرارا يسقط وآخذه ويسقط وآخذه. هكذا رواه فى المغازى معلقا ورواه فى كتاب التفسير مسندا عن شيبان عن قتادة عن أنس عن أبى طلحة قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه وقد رواه الترمذى والنسائى والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبى طلحة قال رفعت رأسى يوم أحد وجعلت أنظر ومامنهم يومئذ أحد إلا يميل تحت حجفته من النعاس لفظ الترمذى وقال حسن صحيح ورواه النسائى أيضا عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن أبى قتيبة عن ابن أبى عدى كلاهما عن حميد عن أنس قال: قال أبو طلحة كنت فيمن ألقى عليه النعاس الحديث وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الحسين محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحق الثقفى حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومى حدثنا يونس ابن محمد حدثنا شيبان عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه قال والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أى إنما هم أهل شك وريب فى الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال فان الله عز وجل يقول (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) يعنى أهل الايمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله ولهذا قال (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعنى لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كما قال فى الآية الأخرى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) إلى آخر الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الاسلام قد باد وأهله وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة ثم أخبر تعالى عنهم أنهم (يقولون) فى تلك الحال (هل لنا من الأمر من شىء) فقال تعالى (قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) ثم فسر ما أخفوه فى أنفسهم بقوله (يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا) أى يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ قال ابن إسحق فحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه فى صدره قال فوالله إنى لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم يقول (لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا) فحفظتها منه وفى ذلك أنزل الله (يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا) لقول معتب رواه ابن أبى حاتم قال الله تعالى (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) أى هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتم لا محيد عنه ولا مناص منه وقوله تعالى (وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم) أى يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس فى الأقوال والأفعال (والله عليم بذات الصدور) أى بما يختلج فى الصدور من السرائر والضمائر ثم قال تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) أى ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال تعالى (ولقد عفا الله عنهم) اى عما كان منهم من الفرار (إن الله غفور رحيم) أى يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم وقد تقدم حديث ابن عمر فى شأن عثمان وتوليه يوم أحد وأن الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله (ولقد عفا عنكم) ومناسب ذكره ههنا قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقى عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالى أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن أبلغه أنى لم أفر يوم حنين قال عاصم يقول يوم أحد ولم أتخلف

عن بدر ولم أترك سنة عمر قال فانطلق فأخبر بذلك عثمان قال : فقال عثمان أما قوله إنى لم أفر يوم حنين فكيف يعيرنى بذلك ولقدعفاالله عنه فقال تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفاالله عنهم) وأما قوله إنى تخلفت يوم بدر فانى كنت أمرّض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لى رسول الله ﷺ بسهم ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد وأما قوله إنى تركت سنة عمر فانى لا أطيقها ولا هو فأته فحدثه بذلك

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار فى اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا فى الأسفار والحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم) أى عن اخوانهم (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا للتجارة ونحوها (أو كانوا غزى) أى كانوا فى الغزو (لو كانوا عندنا) أى فى البلد (ماماتوا وماقتلوا) أى ماماتوا فى السفر وما قتلوا فى الغزو وقوله تعالى (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) أى خلق هذا الاعتقاد فى نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم ثم قال تعالى ردا عليهم (والله يحيى ويميت) أى بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ولا يزاد فى عمر أحد ولا ينقص منه شىء إلا بقضائه وقدره (والله بما تعملون بصير) أى علمه وبصره نافذ فى جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شىء وقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) تضمن هذا أن القتل فى سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء فى الدنيا وجميع حطامها الفانى ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله عزوجل فيجزيه بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فقال تعالى (ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون)

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخاطبا رسوله ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لزجره وأطاب لهم

لفظه (فبما رحمة من الله لنت لهم) أى بأى شىء جعلك الله لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم ، وقال قتادة (فبما رحمة من الله لنت لهم) يقول فبرحمة من الله لنت لهم وما صلة ، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله (فبما نقضهم ميثاقهم)وبالنكرة كقوله(عما قليل) وهكذا ههنا قال (فبما رحمة من الله لنت لهم) أى برحمة من الله ، وقال الحسن البصرى هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقال الإمام أحمد حدثنا حيوة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثنى أبو راشد الحرانى قال: أخذ بيدى أبو أمامة الباهلى وقال : أخذ بيدى رسول الله ﷺ فقال « يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبى » تفرد به أحمد ثم قال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) والفظ الغليظ المراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك (غليظ القلب) أى لو كنت سىء الكلام قاسى القلب عليهم لا نفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى أنبأنا بشر بن عبيد حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن المسعودى عن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أمرنى بمداراة الناس كما أمرنى باقامة الفرائض» حديث غريب . ولهذا قال تعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير فقالوا يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون. وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم . وشاورهم فى أحد فى أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه السعدان ، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية فى أن يميل على ذرارى المشركين . فقال له الصديق. إنا لم نجىء لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال وقال صلى الله عليه وسلم فى قصة الافك « أشيروا علىّ معشر المسلمين فى قوم أبنوا أهلى ورموهم ، وايم الله ماعلمت على أهلى من سوء وأبنوهم بمن؟ والله ماعلمت عليه إلا خيرا » واستشار عليا وأسامة فى فراق عائشة رضى الله عنها . فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم فى الحروب ونحوها وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبا عليه أو من باب الندب تطييبا لقلوبهم ؟ على قولين وقد روى الحاكم فى مستدركه : أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر حدثنا سعيد بن أبى مريم أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس فى قوله تعالى (وشاورهم فى الأمر) قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وكذا رواه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزلت فى أبى بكر وعمر ، وكانا حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وأبوى المسلمين وقد روى الإمام أحمد .حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر «لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما » وروى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ فقال « مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم» وقد قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن بكير عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المستشار مؤتمن» ورواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى من حديث عبد الملك بأبسط من هذا . ثم قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أسود بن عامر عن شريك عن الأعمش عن أبى عمرو الشيبانى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المستشار مؤتمن » تفرد به . وقال أيضا حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة وعلى بن هاشم عن ابن أبى ليلى عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » تفرد به أيضا

وقوله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله) أى إذا شاورتهم فى الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه (إن الله يحب المتوكلين) وقوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وهذه الآية كما تقدم من قوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقوله تعالى (وما كان لنبى أن يغل) : قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد : ماينبغى لنبى أن يخون. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا المسيب بن واضح حدثنا أبو إسحق الفزارى عن سفيان بن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله (وما كان لنبى أن يغل) أى يخون . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا خصيف حدثنا مقسم حدثنى ابن عباس أن هذه الآية (وما كان لنبى أن يغل) نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس : لعل رسول الله أخذها ، فأكثروا فى ذلك فأنزل الله (وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) وكذا رواه أبو داود والترمذى جميعا عن قتيبة عن عبد الواحد بن زياد به وقال الترمذى حسن غريب ، ورواه بعضهم عن خصيف عن مقسم يعنى مرسلا ، ورواه ابن مردويه من طريق أبى عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء فقد فأنزل الله تعالى(وما كان لنبى أن يغل) وروى من غير وجه عن ابن عباس نحو ماتقدم ، وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة فى أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك . وقال العوفى عن ابن عباس (وما كان لنبى أن يغل) أى بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضا ، وكذا قال الضحاك . وقال محمد بن إسحق (وما كان لنبى أن يغل) بأن يترك بعض ما أنزل اليه فلا يبلغ أمته . وقرأ الحسن البصرى وطاوس ومجاهد والضحاك (وما كان لنبى أن يغل) بضم الياء أى يخان وقال قتادة والربيع بن أنس : نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد غل بعض أصحابه ، ورواه ابن جرير عنهما ، ثم حكى عن بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يتهم بالخيانة ثم قال تعالى (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقد وردت السنة بالنهى عن ذلك أيضا فى أحاديث متعددة قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك حدثنا زهير يعنى ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عطاء بن يسار عن أبى مالك الأشجعى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض تجدون الرجلين جارين فى الأرض ـ أو فى الدار ـ فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا فإذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن نمير حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت المستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال » هكذا رواه الإمام أحمد وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقى حدثنا العافى حدثنا الأوزاعى عن الحارث ابن يزيد عن جبير بن نفير عن المستورد بن شداد : قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا » قال : قال أبو بكر أخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من اتخذ غير ذلك فهو غال ـ أو سارق » قال شيخنا الحافظ المزى رحمه الله رواه أبو جعفر بن محمد الفريابى عن موسى بن مروان فقال : عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفير وهو أشبه بالصواب

(حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن بشر حدثنا يعقوب القمى حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادى يامحمد يامحمد فأقول : لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول : يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل فرسا له حمحمة ينادى يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولأعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل قسما من أدم ينادى يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك » لم يروه أحد من أهل الكتب الستة

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهرى سمع عروة يقول : حدثنا أبو حميد الساعدى قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدى لى . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال « مابال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أهدى لى . أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ والذى نفس محمد بيده لا يأتى أحدكم منها بشىء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته ، إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ، ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا ، وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد . بصرته عينى وسمعته أذنى واسألوا زيد بن ثابت ، أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة ، وعند البخارى واسألوا زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهرى ، ومن طرق عن هشام بن عروة ، كلاهما عن عروة به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبى حميد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هدايا العمال غلول » وهذا الحديث من أفراد أحمد ، وهو ضعيف الإسناد ، وكأنه مختصر من الذى قبله والله أعلم ، (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى فى كتاب الأحكام : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودى عن المغيرة بن شبل عن قيس بن أبى حازم عن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فلما سرت أرسل فى أثرى فرددت فقال « أتدرى لم بعثت اليك ؟ لا تصيبن شيئا بغير إذنى فإنه غلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) لهذا دعوتك فامض لعملك » هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفى الباب عن عدى بن عميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبى حميد وابن عمر ؛ (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمى عن أبى زرعة عن ابن عمر وابن جرير عن أبى هريرة قال . قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال « لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعيره له رغاء فيقول : يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول : يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت . فيقول : يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » أخرجاه من حديث أبى حيان به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبى خالد حدثنى قيس عن عدى بن عميرة الكندى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملا فكتمنا منه مخيطا فما فوقه فهو غل يأتى به يوم القيامة » قال : فقام رجل من الأنصار أسود — قال مجاهد : هو سعد بن عبادة كأنى أنظر اليه — فقال يارسول الله اقبل منى عملك قال « وماذاك ؟ » قال سمعتك تقول كذا وكذا قال « وأنا أقول ذاك الآن ، من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره ، فما أوتى منه أخذه ، وما نهى عنه انتهى » وكذا رواه مسلم وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا أبو معاوية عن أبى إسحق الفزارى عن ابن جريج حدثنى منبوذ رجل من آل أبى رافع عن الفضل بن عبد الله بن أبى رافع عن أبى رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بنى عبد الأشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر إلى المغرب قال أبو رافع : فينما[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا إلى المغرب إذ مر بالبقيع فقال « أف لك أف لك » فلزق فى درعى وتأخرت وظننت أنه يريدنى فقال « مالك ؟ » قلت أحدثت حدثا يارسول الله : قال « وماذاك » ؟ قال : إنك قلت لى قال « لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار » (حديث آخر) قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن سالم الكوفى المفلوج — وكان ثقة — حدثنا عبيد بن الأسود عن القاسم بن الوليد عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجية عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الوبرة من ظهر البعير من المغنم ثم يقول « مالى فيه إلا مثل مالأحدكم ، إياكم والغلول فان الغلول خزى على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا فى سبيل الله القريب والبعيد ، فى الحضر والسفر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، إنه لينجى الله به من الهم والغم ؛ وأقيموا حدود الله فى القريب والبعيد ولا تأخذكم

(١) هكذا بالأصل ولعله قد سقط لفظ كان .

فى الله لومة لائم » وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفلوج به . (حديث آخر) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا الخياط والمخيط ، فان الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » (حديث آخر) قال أبو داود . حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن مطرف عن أبى الجهم عن أبى مسعود الأنصارى قال : بعثنى رسول الله ﷺ ساعيا ثم قال : «انطلق أبامسعود لاألفينك يوم القيامة تجىء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غللته » قال إذاً لا أنطلق قال « إذاً لا أكرهك » تفرد به أبو داود . (حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه . أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أنبأنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة أنبأنا عبد الحميد بن صالح أنبأنا أحمد ابن أبان عن علقمة بن مرثد عن أبى بريدة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الحجر يرمى به فى جهنم فيهوى سبعين خريفا ما يبلغ قعرها ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل به ائت به فذلك قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) » (حديث أخر) قال الإمام أحمد . حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثنى سماك الحنفى أبو زميل حدثنى عبد الله بن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها ـ أوعباءة ـ» ثم قال رسول الله ﷺ «اذهب فناد فى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» قال فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وكذا رواه مسلم والترمذى من حديث عكرمة بن عمار به وقال الترمذى حسن صحيح (حديث آخر عن عمر رضى الله عنه) قال ابن جرير : حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنى عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى حدثه أن عبد الله ابن أنيس حدثه أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال ألم تسمع قول رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة « من غل منها بعيراً أوشاة فانه يحمله يوم القيامة » ؟ قال عبد الله بن أنيس . بلى ورواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبد الله بن وهب به (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا يحيى بن سعيد الأموى حدثنا أبى حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال «ياسعد إياك أن تجىء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء» قال لا آخذه ولا أجىء به فأعفاه ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه (حديث آخر) قال أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك فى أرض الروم فوجد فى متاع رجل غلولا قال فسأل سالم بن عبد الله فقال حدثنى أبى عبد الله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من وجدتم فى متاعه غلولا فأحرقوه ـ قال وأحسبه قال ـ واضربوه » قال فأخرج متاعه فى السوق فوجد فيه مصحفا فسأل سالما فقال بعه وتصدق بثمنه وكذا رواه على بن المدينى وأبو داود والترمذى من حديث عبد العزيز بن محمد الدرا وردى زاد أبو داود وأبو إسحق الفزارى كلاهما عن أبى واقد الليثى الصغير صالح بن محمد بن زائدة به وقال على بن المدينى والبخارى وغيرهما هذا حديث منكر من رواية أبى واقد هذا وقال الدارقطنى الصحيح أنه من فتوى سالم فقط وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه وقد رواه الأموى عن معاوية عن أبى إسحق عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على مافيه . ثم روى عن معاوية عن أبى إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن على قال الغال يجمع رحله فيحرق ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعى والجمهور فقالوا لايحرق متاع الغال بل يعزر تعزير مثله وقد قال البخارى وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على الغال ولم يحرق متاعه والله أعلم ـ وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر أنبأنا إسرائيل عن أبى إسحق عن جبير بن مالك قال : أمر بالمصاحف أن تغير قال : فقال ابن مسعود من استطاع منكم أن يغل مصحفا فليغله فانه من غل شيئا جاء به يوم القيامة ثم قال قرأت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة أفأترك ما أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وروى وكيع فى تفسيره عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم قال لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أيها الناس غلوا المصاحف فانه من غل يأت بما غل يوم القيامة ، ونعم الغل المصحف يأتى به أحدكم يوم القيامة ـ وقال أبو داود

عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة أمر بلالا فينادى فى الناس فيجوزوا بغنائمهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال : يارسول الله هذا كان مما أصبناه من الغنيمة فقال «أسمعت بلالا ينادى » ثلاثا قال : نعم قال « فما منعك أن تجيء » فاعتذر إليه فقال «كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك» وقوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) أى لايستوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه ، وأجير من وبيل عقابه ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، وهذه الآية لها نظائر كثيرة فى القرآن كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) كقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الآية. ثم قال تعالى (هم درجات عند الله) قال الحسن البصرى ومحمد بن إسحق: يعنى أهل الخير وأهل الشر درجات، وقال أبو عبيدة والكسائى : منازل يعنى متفاوتون فى منازلهم ، درجاتهم فى الجنة ودركاتهم فى النار ، كقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (والله بصير بما يعملون) أى وسيوفيهم إياها ، لايظلمهم خيرا ولايزيدهم شرا ، بل يجازى كل عامل بعمله : وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به ، كما قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أى من جنسكم وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) الآية . وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى) وقال تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) فهذا أبلغ فى الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته فى فهم الكلام عنه ولهذا قال تعالى (يتلو عليهم آياته) يعنى القرآن (ويزكيهم) أى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذى كانوا متلبسين به فى حال شركهم وجاهليتهم (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل) أى من قبل هذا الرسول (لفى ضلال مبين) أى لفى غى وجهل ظاهر جلى بين لكل أحد

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) وهى ما أصيب منهم يوم أحد من قتلى السبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يعنى يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا وأسروا سبعين أسيرا قلتم أنى هذا أى من أين جرى علينا هذا (قل هو من عند أنفسكم) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى أنبأنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا قراد بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) بأخذكم الفداء . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قراد بن نوح باسناده ولكن بأطول منه ، وهكذا قال الحسن البصرى وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا إسماعيل بن علية عن ابن

عون ح قال سنيد وهو حسين وحدثنى حجاج عن جريج عن محمد عن عبيدة عن على قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يامحمد إن الله قد كره ماصنع قومك فى أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين ، إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال : فدعا رسول الله ﷺ الناس فذكر لهم ذلك فقالوا : يارسول الله عشائرنا وإخواننا ألا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس فى ذلك ماتكره ؟ قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أسارى أهل بدر ، وهكذا رواه النسائى والترمذى من حديث أبى داود الحفرى عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن سفيان بن سعيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ، ثم قال الترمذى حسن غريب لانعرفه إلا من حديث ابن أبى زائدة : وروى أبو أسامة عن هشام نحوه وروى عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبى ﷺ مرسلا . وقال محمد بن إسحق وابن جرير والربيع بن أنس والسدى (قل هو من عند أنفسكم) أى بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لاتبرحوا من مكانكم فعصيتم يعنى بذلك الرماة (إن الله على كل شىء قدير) أى يفعل ما يشاء ويحكم مايريد لامعقب لحكمه ، ثم قال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) أى فراركم بين يدى عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين كان بقضاء الله وقدره ، وله الحكمة فى ذلك (وليعلم المؤمنين) أى الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أوادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) يعنى بذلك أصحاب عبد الله بن أبى ابن سلول الذين رجعوا معه فى أثناء الطريق فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الاتيان والقتال والمساعدة ، ولهذا قال (أوادفعوا) قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو صالح والحسن والسدى : يعنى كثروا سواد المسلمين ، وقال الحسن بن صالح ادفعوا بالدعاء ، وقال غيره رابطوا ، فتعللوا قائلين (لونعلم قتالا لاتبعناكم) قال مجاهد يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربا لجئنا كم ؛ ولكن لاتلقون قتالا . قال محمد بن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حيان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ؛ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يعنى حين خرج إلى أحد فى ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس فقال : أطاعهم فخرج وعصانى ووالله ماندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة يقول : ياقوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم ومضى رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال فيكون فى حال أقرب إلى الكفر ، وفى حال أقرب إلى الايمان لقوله (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) ثم قال تعالى (يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم) يعنى أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ، ومنه قولهم هذا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) فانهم يتحققون أن جندا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر . وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لامحالة . ولهذا قال تعالى (والله أعلم بما يكتمون) ثم قال تعالى (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا) أى لوسمعوا من مشورتنا عليهم فى القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل ، قال الله تعالى (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) أى إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغى أنكم لاتموتون ، والموت لابد آت إليكم ولوكنتم فى بروج مشيدة ، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ

مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا فى هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة فى دار القرار . قال محمد بن جرير : حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة حدثنا إسحق بن أبى طلحة حدثنى أنس بن مالك فى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبى الله إلى أهل بئر معونة قال : لا أدرى أربعين أو سبعين ، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فقعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال ـ أراه أبو ملحان الأنصارى ـ أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ (١) فخرج حتى أتى حول بيتهم فاجثى (٢) أمام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة إنى رسول رسول الله إليكم ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل وقال ابن إسحق : حدثنى أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآنا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناها زمانا وأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وقد قال مسلم فى صحيحه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » وقد روى نحوه من حديث أنس وأبى سعيد (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن نفس تموت لها عند الله خير يسرها ان ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى مما يرى من فضل الشهادة » تفرد به مسلم من طريق حماد (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله المدينى حدثنا سفيان بن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلمت أن الله أحيا أباك فقال له : تمن فقال له أرد إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى قال إنى قضيت أنهم اليها لا يرجعون » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى رضى الله عنه قتل يوم أحد شهيدا . قال البخارى وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرا قال لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونى والنبى ﷺ لم ينه فقال النبى ﷺ « لا تبكيه ـ أو ما تبكيه ـ مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » وقد أسنده هو ومسلم والنسائى من طرق عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : لما قتل أبى يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى وذكر تمامه بنحوه : (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا

(١) قوله أهل هذا الماء إلى هنا سقط من النسختين وترك له بياض فى الأميرية ونقلناه من تفسير ابن جرير . (٢) فى نسخة الأزهر فاختبأ .

يعقوب حدثنا أبى عن أبى إسحق حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبى الزبير المكى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وما بعدها » وهكذا رواه أحمد ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن إسحق به . ورواه أبو داود والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحق به ، ورواه أبو داود والحاكم عن إسماعيل بن أمية عن أبى الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره ، وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثورى عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - وروى الحاكم فى مستدركه من حديث أبى إسحق الفزارى عن سفيان عن إسماعيل[1] بن أبى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى حمزة وأصحابه (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك انها نزلت فى قتلى أحد. (حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا هارون بن سليمان أنبأنا على بن عبد الله المدينى أنبأنا موسى بن إبراهيم ابن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمت الأنصارى قال سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلىّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال « يا جابر مالى أراك مهتما؟ » قلت يا رسول الله استشهد أبى وترك دينا وعيالا قال : فقال « ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحا » قال على والكفاح المواجهة « قال سلنى أعطك قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل إنه قد سبق منى القول انهم إليها لا يرجعون قال أى رب فأبلغ من ورائى فأنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية » ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليط الأنصارى عن أبيه عن جابر به نحوه ، وكذا رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق على ابن المدينى به ، وقد رواه البيهقى أيضا من حديث أبى عبادة الأنصارى وهو عيسى بن عبد الله[2] إن شاء الله عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: قال النبى ﷺ لجابر « يا جابر ألا أبشرك» قال بلى بشرك الله بالخير قال « شعرت بأن الله أحيا أباك فقال تمن علىّ عبدى ماشئت أعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى قال إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع» (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصارى عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» تفرد به أحمد ، وقد رواه ابن جرير[3] عن أبى كريب حدثنا عبد الرحمن بن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحق به وهو إسناد جيد ؛ وكأن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم فى الجنة ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح والله أعلم - وقد روينا فى مسند الإمام أحمد حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون فى الجنة تسرح أيضا فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة ، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة فان الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبحى رحمه الله عن الزهرى عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قوله « يعلق » أى يأكل وفى هذا الحديث « إن روح المؤمن تكون على شكل طائر فى الجنة » وأما أرواح الشهداء فكما تقدم فى حواصل طير خضر فهى كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فانها تطير بأنفسها ، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان - وقوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله) إلى آخر الآية أى الشهداء

(١) فى نسخة الأزهر : عن أبى سفيان عن إسماعيل (٢) وفيها : ابن عبد الرحمن (٣) وفيها ابن جرير

الذين قتلوا فى سبيل الله أحياء عند ربهم ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم فى سبيل الله أنهم يقدمون عليهم ، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم نسأل الله الجنة . وقال محمد بن إسحق (ويستبشرون) أى ويسرون بلحوق من لحقهم[1] من إخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قال السدى يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم قال سعيد بن جبير : لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا : ياليت إخواننا الذين فى الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة ، فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وماهم فيه من الكرامه ، وأخبرهم أى ربهم أنى قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه فاستبشروا بذلك فذلك قوله (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الآية وقد ثبت فى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا فى غداة واحدة ، وقنت رسول الله ﷺ يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم قال أنس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع « أن بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا »

ثم قال تعالى (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) قال محمد بن إسحق : استبشروا أى سروا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم ، وقلما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم ، وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا فى سيرهم ندموا لم لا عمدوا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلدا ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضى الله عنه لما سنذكره فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عزوجل ولرسوله ﷺ . قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئسما صنعتم . ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد ـ أو بئر أبى عيينة ـ الشك من سفيان ـ فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تعد غزوة فأنزل الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره ـ وكان محمد بن إسحق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو ابن حرام فقال يا رسول الله إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال : يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم قال محمد بن إسحق فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل ، كان قد شهد أحدا قال : شهدنا أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخى رجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو وقلت لأخى ـ أو قال لى ـ أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول

(١) فى نسخة الأزهر : خلفهم .

الله ﷺ ، وكنت أيسر جراحا منه ؛ فكان إذا غلب حملته عقبة ؛ حتى انتهينا إلى ما انتهى اليه المسلمون . وقال البخارى حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبومعاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قلت لعروة : يا ابن أختى كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لما أصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال « من يرجع فى أثرهم » فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير هكذا رواه البخارى منفردا بهذا السياق ، وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه عن الأصم عن أبى العباس (١) الدورى عن أبى النضر عن أبى سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قال ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وهدبة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة به وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى فى مسنده عن سفيان به وقد رواه الحاكم أيضا من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن التيمى عن عروة وقال: قالت لى عائشة ان أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه — وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه أنبأنا سموية أنبأنا عبد الله بن الزبير أنبأنا سفيان أنبأنا هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ « ان كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير » ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضى الله عنها كما قدمناه ، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة ، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن أختها أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم — وقال ابن جرير ، حدثنى محمد بن سعد حدثنى عمى حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال : ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد ما كان منه ما كان فرجع إلى مكة فقال النبى ﷺ « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا ، وقد رجع وقد قذف الله فى قلبه الرعب » وكانت وقعة أحد فى شوال وكان التجار يقدمون المدينة فى ذى القعدة فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك إلى النبى ﷺ واشتد عليهم الذى أصابهم وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلق وامعه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل » فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه وقال « إنى ذاهب وان لم يتبعنى أحد لأحضض الناس » فانتدب معه الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبى سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) الآية . ثم قال ابن إسحق فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة ، وقدم به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر معبد بن أبى معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ كان مشركا فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا: أصبنا محمداً وأصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لنكرن على بقيتهم ثم لنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال محمد وأصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا ، فهم من الحنق عليكم بشىء لم أر مثله قط قال : ويلك ما تقوله قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك ووالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت : قال قلت

كادت تهد من الأصوات راحلتى * إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل تردى بأسد كرام لا تنابلة
عند اللقاء ولا ميل معازيل * فظلت أعدو أظن (٢) الأرض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول

(١) فى نسخة الأزهر : عباس . (٢) وفيها : عدوا .

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * إذا تغطمطت البطحاء بالخيل * إنى نذير لأهل السيل ضاحية
لكل ذى إربة منهم ومعقول * من جيش أحمد لا وخش تنابلة * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون ، قالوا نريد المدينة قال ولم ، قالوا نريد الميرة ، قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها اليه وأحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذ وافيتمونا ، قالوا نعم قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير اليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبوسفيان وأصحابه فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل. وذكر ابن هشام عن أبى عبيدة قال : قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم «والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب» وقال الحسن البصرى فى قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح) ان أباسفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا فقال رسول الله ﷺ ان أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله فى قلبه الرعب فمن ينتدب فى طلبه فقام النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعوهم فبلغ أبا سفيان أن النبى صلى الله عليه وسلم يطلبه فلقى عيرا من التجار فقال ردوا محمدا ولكم من الجعل كذا وكذا وأخبروهم أنى قد جمعت جموعا وأنى راجع اليهم فجاء التجار فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم « حسبنا الله ونعم الوكيل » فأنزل الله هذه الآية ، وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد ان هذا السياق نزل فى شأن غزوة حمراء الأسد وقيل نزلت فى بدر الموعد والصحيح الأول ، وقوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً) الآية أى الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال البخارى حدثنا أحمد بن يونس قال أراه قال حدثنا أبوبكر عن أبى حصين عن أبى الضحى عن ابن عباس (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . وقد رواه النسائى عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهرون بن عبدالله كلاهما عن يحيى بن أبى بكر عن أبى بكر وهو ابن عياش به والعجب أن الحاكم أبا عبدالله رواه من حديث أحمد بن يونس به ثم قال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم رواه البخارى عن أبى غسان مالك بن إسماعيل عن إسرائيل عن أبى حصين عن أبى الضحى عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار : حسبنا الله ونعم الوكيل وقال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرنى زكريا عن الشعبى عن عبد الله بن عمرو قال: هى كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار رواه ابن جرير وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن موسى الثورى حدثنا عبدالرحيم بن محمد بن زياد السكرى أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قيل له يوم أحد إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأنزل الله هذه الآية وروى أيضا بسنده عن محمد بن عبدالله الرافعى عن أبيه عن جده أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم وجه عليا فى نفر معه فى طلب أبى سفيان فلقيهم أعرابى من خزاعة فقال ان القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية ثم قال ابن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو خثيمة بن مصعب بن سعد أنبأنا موسى بن أعين عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » هذا حديث غريب من هذا الوجه ـ وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبى العباس قالا : حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر : حسبى الله ونعم الوكيل ، فقال النبى ﷺ « ردوا علىّ الرجل» فقال «ماقلت؟» قال قلت حسبى الله ونعم الوكيل » فقال النبى ﷺ « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكل » وكذا رواه أبوداود والنسائى من حديث بقية عن يحيى بن خالد عن سيف وهو الشامى ولم يسم عن عوف بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ـ وقال الإمام

أحمد حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عطية عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقد روى هذا من غير وجه وهو حديث جيد وقد روينا عن أم[1] المؤمنين زينب وعائشة رضى الله عنهما أنهما تفاخرتا فقالت زينب زوجنى الله وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة نزلت براءتى من السماء فى القرآن فسلمت لها زينب ثم قالت كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل قالت قلت حسبى الله ونعم الوكيل قالت زينب قلت كلمة المؤمنين ولهذا قال تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) أى لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم (بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) مما أضمر لهم عدوهم (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد حدثنا محمد بن نعيم حدثنا بشر بن الحكم حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) قال النعمة أنهم سلموا والفضل أن عيرا مرت فى أيام الموسم فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالا فقسمه بين أصحابه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) قال هذا أبو سفيان قال لمحمد صلى الله عليه وسلم موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد ﷺ « عسى » فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدراً فوافقوا السوق فيها فابتاعوا فذلك قول الله عز وجل (فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية قال وهى غزوة بدر الصغرى رواه ابن جرير وروى أيضا عن القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج قال لما عهد رسول الله ﷺ لموعد أبى سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال فقدم رجل من المشركين فأخبر أهل مكة بخبل محمد وقال فى ذلك

نفرت قلوصى من خيول محمد وعجوة منثورة كالعنجد
واتخذت ماء قديد موعدى

قال ابن جرير هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ إنما هو

قد نفرت من رفقتى محمد وعجوة من يثرب كالعنجد
فهى على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد موعد
وماء ضجنان لها ضحى الغد

ثم قال تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة قال الله تعالى (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجأوا إلى فانى كافيكم وناصركم عليهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه) إلى قوله (قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) وقال تعالى (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال تعالى (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) وقال (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) الآية وقال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ

(١) الظاهر أن يقال : عن أمى المؤمنين بالتثنية .

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ *وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق ، فقال تعالى : ولا يحزنك ذلك (إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) أى حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) : ثم قال تعالى مخبرا عن ذلك إخبارا مقرراً (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أى استبدلوا هذا بهذا (لن يضروا الله شيئا) أى ولكن يضرون أنفسهم (ولهم عذاب أليم)؛ ثم قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) كقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) وكقوله (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وكقوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) . ثم قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أى لابد أن يعقد شيئا[1] من المحنة ، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه . يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعنى بذلك يوم أحد الذى امتحن الله به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ ، وهتك به ستار المنافقين. فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال السدى : قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر به فأنزل الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أى حتى يخرج المؤمن من الكافر روى ذلك كله ابن جرير — ثم قال تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى أنتم لا تعلمون غيب الله فى خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا مايعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) كقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً *إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسله) أى أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) . وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم) أى لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه فى دينه ، وربما كان فى دنياه . ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) ، قال البخارى : حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه — يعنى بشدقيه — ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) إلى آخر الآية : تفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح به

(١) فى نسخة الأزهر : سببا

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إن الذى لا يؤدى زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه يقول : أنا مالك أنا كنزك » وهكذا رواه النسائى عن الفضل بن سهل عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة به ثم قال النسائى ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة (قلت) ولا منافاة بين الروايتين ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين والله أعلم ، وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه من غير وجه عن أبى صالح عن أبى هريرة. ومن حديث محمد بن حميد[1] عن زياد الخطمى عن أبى هريرة به (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن جامع عن أبى وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال « مامن عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه[2] يفر منه فيتبعه فيقول[3] أنا كنزك » ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبى راشد ، زاد الترمذى وعبد الملك بن أعين كلاهما عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى بكر بن عياش وسفيان الثورى كلاهما عن أبى إسحق السبيعى عن أبى وائل عن ابن مسعود به ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفا . (حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان عن النبي ﷺ قال « من ترك بعده كنزا مثل له شجاعا أقرع[4] له زبيبتان يتبعه فيقول : من أنت ويلك فيقول : أنا كنزك الذى خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده » إسناده جيد قوى ولم يخرجوه . وقد رواه الطبرانى عن جرير بن عبد الله البجلى ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « لا يأتى الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذى منع » لفظ ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن أبى قزعة عن رجل عن النبي ﷺ قال « مامن ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه إلا خرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه » ثم رواه من طريق أخرى عن أبى قزعة واسمه حجر بن بيان عن أبى مالك العبدى موقوفا ، ورواه من وجه آخر عن أبى قزعة مرسلا . وقال العوفى عن ابن عباس : نزلت فى أهل الكتاب الذين بخلوا بما فى أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، رواه ابن جرير والصحيح الأول وإن دخل هذا فى معناه ، وقد يقال إن هذا أولى بالدخول والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) أى (فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) فإن الأموال كلها مرجعها إلى الله عز وجل . فقدموا من أموالكم ماينفعكم يوم معادكم (والله بما تعملون خبير) أى بنياتكم وضمائركم

﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس . لما نزل قوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قالت اليهود . يا محمد . افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء)

(١) فيها ابن أبى حمية (٢) وفيها : وهو يتبعه (٣) وفيها ويقول (٤) زاد فيها يوم القيامة .

الآية ؟ رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم . وقال محمد بن إسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس[1] فوجد من يهوديا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر : ويحك يافنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل . فقال فنحاص : والله يا أبا بكر مابنا إلى الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ماتتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإناعنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولوكان غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضرباشديداً ، وقال : والذى نفسي بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك ياعدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال : يامحمد أبصر ماصنع بي صاحبك فقال رسول الله ﷺ « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر » فقال : يارسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك وقال : ماقلت ذلك ، فأنزل الله فيما قال فنحاص[2] (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية . رواه ابن أبي حاتم وقوله (سنكتب ماقالوا) تهديد ووعيد ، ولهذا قرنه تعالى بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أى هذا قولهم في الله ، وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى (ونقول ذوقوا عذاب الحريق* ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً وقوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لايؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها. قاله ابن عباس والحسن وغيرهما. قال الله عزوجل (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) أى بالحجج والبراهين (وبالذى قلتم) أى وبنار تأكل القرابين المتقبلة . (فلم قتلتموهم) أى فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم (إن كنتم صادقين) أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل — ثم قال تعالى مسليا لنبيه محمد ﷺ (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) أى لايوهنك تكذيب هؤلاء لك ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ماجاءوا به من البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة (والزبر) وهي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين (والكتاب المنير) أى الواضح الجلى

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

يخبر تعالى إخباراً عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام) فهو تعالى وحده الحى الذى لايموت والجن والانس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخرا كما كان أولا وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لايبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فاذا انقصت المدة وفرغت النطفة التى قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها كثيرها وقليلها كبيرها وصغيرها فلايظلم أحدا مثقال ذرة ولهذا قال تعالى (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد العزيز الأويسى حدثنا على بن أبي على الهاشمى عن جعفر بن محمد على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولايرون شخصه فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته (كل نفس

(١) المدراس : المعلم المدرس (٢) زاد فيها : ردا وتصديقا لأبي بكر .

ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) إن فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال جعفر بن محمد فأخبرنى أبى أن على بن أبى طالب قال أتدرون من هذا ؟ هـذا الخضر عليه السلام . وقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أى من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد ابن عبد الله الأنصارى حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) » هـذا حديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة : وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث محمد بن عمرو . هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن على عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « لموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال ثم تلا هـذه الآية (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وتقدم عند قوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده عن وكيع به وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغير لشأن الدنيا ، وتحقير لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة كما قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى) وفى الحديث « والله ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يغمس أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم ترجع إليه » وقال قتادة فى قوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) قال : هى متاع متروكة أو شكت والله الذى لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله وقوله تعالى (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم) كقوله تعالى (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) إلى آخر الآيتين . أى لابد أن يبتلى المؤمن فى شىء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ويبتلى المؤمن على قدر دينه ، فان كان فى دينه صلابة زيد فى البلاء (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) تمول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلياً لهم عما نالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وآمراً لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله فقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان النبى ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتو الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) قال : وكان رسول الله ﷺ يتأول فى العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ، هكذا ذكره مختصرا . وقد ذكره البخارى عند تفسير هـذه الآية مطولا فقال : حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة ببنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبدالله بن أبى ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم ابن أبى[1] وإذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين ، وفى المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى أنفه بردائه وقال : لا تغبروا علينا ، فسلم رسول الله ﷺ ، ثم وقف ، فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبى أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا . ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بلى يا رسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود

(١) أى قبل أن يظهر الإسلام كما قال القسطلانى وغيره فهو رأس المنافقين

حتى كادوا يتثاورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ « يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب » يريد عبد الله بن أبي ، قال كذا وكذا فقال سعد يا رسول الله اعف عنه واصفح فو الذى أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذى نزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذى أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك الذى فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) الآية ـ وقال تعالى (ودكثيرمن أهل الكتاب لويردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) الآية وكان النبي ﷺ يتأول فى العفو ماأمره الله به حتى أذن الله له فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً فقتل الله به صناديد كفار قريش ، قال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فبايعوا وأسلموا ـ فكل من قام بحق أو أمر بمعروف، أونهى عن منكر فلابد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر فى الله ، والاستعانة بالله . والرجوع إلى الله

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينوهوا بذكره فى الناس فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير فى الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوى السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفى هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئا ، فقدوردفى الحديث المروى من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وقوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا) الآية ، يعنى بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا كما جاء فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة » وفى الصحيحين أيضا « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرنى ابن أبى مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال: اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذ بن أجمعين فقال ابن عباس مالكم وهذه ، إنما نزلت هذه فى أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون *لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا) الآية . وقال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شىء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه ، وهكذا رواه البخارى فى التفسير ومسلم والترمذى والنسائى فى تفسيريهما ،وابن أبى حاتم ، وابن خزيمة،والحاكم فى مستدركه وابن مردويه، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخارى أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فذكره ـ وقال البخارى : حدثنا سعيد بن

أبي مريم أنبأنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري : أن رجالا من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا اليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال : قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد ابن ثابت : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرأيت قوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذاك ، إنما ذاك أن ناسا من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثا ، فان كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم ، وان كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ؟ فقال مروان : أكذلك يا زيد ؟ قال نعم صدق أبو سعيد : ثم قال أبو سعيد ، وهذا يعلم ذاك — يعني رافع بن خديج ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمدني على ما شهدت لك ؟ فقال له أبو سعيد : شهدت الحق فقال زيد : أولا تحمدني على ما شهدت الحق ؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم عن رافع بن خديج أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فقال مروان : يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم ، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؟ فقال له ما ذكرناه : ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ما ذكر والله أعلم وقد روى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري عن محمد بن ثابت الأنصاري أن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يا رسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكت قال « لم ؟ » قال ، نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد ، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال : ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وانا امرؤ جهير الصوت ، فقال رسول الله ﷺ « أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة » فقال بلى يا رسول الله فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب — وقوله تعالى (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد ، وبالياء على الاخبار عنهم أي لا تحسب أنهم ناجون من العذاب ، بل لابد لهم منه ، ولهذا قال تعالى (ولهم عذاب أليم) ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير) أي هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء ، فهابوه ولا تحالفوه ، واحذروا غضبه ونقمته ، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه القدير الذي لا أقدر منه

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

قال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا يحيى الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى ؟ قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين وأتوا النصارى

فقالوا كيف كان عيسى ؟ قالوا كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبا ، فدعا ربه فنزلت هـذه الآية (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) فليتفكروا فيها . وهذا مشكل ، فان هذه الآية مدنية . وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبا كان بمكة والله أعلم ومعنى الآية أن الله تعالى يقول (إن فى خلق السموات والأرض) أى هذه فى ارتفاعها واتساعها ، وهذه فى انخفاضها وكثافتها واتضاعها . وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات ، وثوابت وبحار ، وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص (واختلاف الليل والنهار) أى تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر . فتارة يطول هذا ويقصر هذا . ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذى كان قصيرا ، ويقصر الذى كان طويلا وكل ذلك تقدير العزيز العليم . ولهذا قال تعالى (لآيات لأولى الألباب) أى العقول التامة الزكية التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها . وليسوا كالصم البكم الذين لايعقلون ، الذين قال الله فيهم (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ثم وصف تعالى أولى الألباب فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) كما ثبت فى الصحيحين عن عمران بن حصين : أن رسول الله ﷺ قال « صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنبك » أى لايقطعون ذكره فى جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) أى يفهمون مافيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته . وقال الشيخ أبو سليمان الدارانى : إنى لأخرج من منزلى فما يقع بصرى على شىء إلا رأيت لله على فيه نعمة ولى فيه عبرة . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل والاعتبار . وعن الحسن البصرى أنه قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وقال الفضيل : قال الحسن الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقال سفيان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شىء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قيله تذكرا . وصمته تفكرا ونظره عبرا . قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة ألهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة . وقال وهب بن منبه : ماطالت فكرة امرىء قط إلا فهم ، ولا فهم امرؤ قط إلا علم ، ولا علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حسن . والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة. وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم . وشاهدوا الموقف بقلوبكم. وانظرا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار . وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها . وكان يبكى عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله . وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال : ياراهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر . كنز الرجال وكنز الأموال. وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتى الخربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : (كل شىء هالك إلا وجهه) وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه . وقال الحسن البصرى : يا ابن آدم كل فى ثلث بطنك . واشرب فى ثلثه . ودع ثلثه الآخر تتنفث للفكرة. وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة . وقال بشر بن الحارث الحافى : لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه . وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الايمان التفكر . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت . وكن فى الدنيا ضعيفاً . واتخذ المساجد بيتا . وعلم عينيك البكاء . وجسدك الصبر وقلبك الفكر ولاتهتم برزق غد. وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك ، فقال فكرت فى الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بهاما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر . وقال ابن أبى الدنيا : أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن :

نزهة المؤمن الفكر * لذة المؤمن العبر نحمد الله وحده * نحن كل على خطر
رب لاه وعمره * قد تقضى وما شعر رب عيش قد كان فو * ق المنى مونق الزهر
فى خرير من العيو * ن وظل من الشجر وسرور من النبا * ت وطيب من الثمر
غيرته وأهله * سرعة الدهر بالغير نحمد الله وحده * إن فى ذا لمعتبر
إن فى ذا لعبرة * للبيب إن اعتبر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال : (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ومدح عباده المؤمنين (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) قائلين (ربنا ماخلقت هذا باطلا) أى ماخلقت هذا الخلق عبثا ، بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا ، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى . ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا (سبحانك) أى عن أن تخلق شيئا باطلا (فقنا عذاب النار) أى يامن خلق الخلق بالحق والعدل ؛ يامن هو منزه عن النقائص والعيب والعبث . قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقضينا لأعمال ترضى بها عنا . ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم . وتجيرنا به من عذابك الأليم . ثم قالوا (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) أى أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة لا مجير لهم منك . ولا محيد لهم عما أردت بهم (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) أى داعيا يدعو إلى الإيمان . وهو الرسول ﷺ (أن آمنوا بربكم فآمنا) أى يقول آمنوا بربكم فآمنا أى فاستجبنا له واتبعناه أى بإيماننا واتباعنا نبيك (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أى استرها (وكفر عنا سيئاتنا) فيما بيننا وبينك (وتوفنا مع الأبرار) أى ألحقنا بالصالحين (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) قيل : معناه على الإيمان برسلك ، وقيل : معناه على ألسنة رسلك. وهذا أظهر — وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن أبى عقال عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً لاحساب عليهم ويبعث منها خمسين ألفا شهداء وفود إلى الله ، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة فى أيديهم تشج أوداجهم دما يقولون : (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) فيقول الله : صدق عبيدى اغسلوهم بنهر البيضة . فيخرجون منه نقاء بيضاً . فيسرحون فى الجنة حيث شاءوا » وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعا والله أعلم (ولا تخزنا يوم القيامة) أى على رءوس الخلائق (إنك لا تخلف الميعاد) أى لا بد من الميعاد الذى أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك : وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحافظ أبو شريح[1] حدثنا المعتبر حدثنا الفضل بن عيسى حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ قال « العار والتخزية تبلغ من ابن آدم فى القيامة فى المقام بين يدى الله عز وجل مايتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار » حديث غريب . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده فقال البخارى رحمه الله : حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرنى شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت عند خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد : فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) الآيات . ثم قام فتوضأ واستن . ثم صلى إحدى عشرة ركعة . ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح . وهكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن إسحق الصنعانى عن ابن أبى مريم به ثم رواه البخارى من طرق عن مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى خالته قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها ، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف ذا الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده . ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة

(١) فى نسخة الأزهر : الحارث بن شريح ولم نجد هذا ولا ذاك .

فتوضأ منها فأحسن وضوءه ؛ ثم قام يصلى قال ابن عباس رضى الله عنهما : فقمت فصنعت مثل ماصنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى اليمنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ؛ فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به . ورواه مسلم أيضاً وأبو داود من وجوه أخر عن مخرمة بن سليمان به طريق أخرى) لهذا الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن على حدثنا أبو يحيى عن أبى ميسرة أنبأنا خلاد بن يحيى أنبأنا يونس عن أبى إسحق عن النهال بن عمرو عن على بن عبد الله بن عباس عن عبدالله بن عباس قال : أمرنى العباس أن أبيت بآل رسول الله ﷺ وأحفظ صلاته . قال : فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة العشاء الأخيرة حتى إذا لم يبق فى المسجد أحد غيرى قام فمر بى فقال من هذا ؟ عبدالله قلت : نعم ، قال فمه ؟ قلت مرنى العباس أن أبيت بكم الليلة . قال : « فالحق الحق » فلما دخل قال : افرش[1] عبدالله ؟ قال : فأتى بوسادة من مسوح قال فنام رسول الله ﷺ عليها حتى سمعت غطيطه ثم استوى على فراشه قاعدا قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائى من حديث على بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثاً فى ذلك أيضا (طريق أخرى) رواها ابن مردويه من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعد مامضى ليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) إلى آخر السورة . ثم قال « اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ومن بين يدى نورا ومن خلفى نورا ومن فوقى نورا ومن تحتى نورا وأعظم لى نورا يوم القيامة » وهذا الدعاء ثابت فى بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضى الله عنه . ثم روى ابن مردويه وابن أبى حاتم من حديث جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين . وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم ! فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى . فأتوا النبى ﷺ فقالوا : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه عز وجل ، فنزلت (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) قال فليتفكروا فيها ؛ لفظ ابن مردويه . وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبرانى فى أول الآية وهذا يقتضى أن تكون هذه الآيات مكية والمشهور أنها مدنية ودليله الحديث الآخر . قال ابن مردويه : حدثنا على بن إسماعيل حدثنا أحمد بن على الحرانى حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا حشرج بن نباتة الواسطى حدثنا أبو مكرم عن الكلبى وهو ابن جناب[2] عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت ياعبيد مايمنعك من زيارتنا . قال : قول الشاعر * زرغبا تزدد حبا * فقال ابن عمر ذرينا أخبرينا بأعجب مارأيته من رسول الله ﷺ ، فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال « ذرينى أتعبد لربى عز وجل » قالت : فقلت والله إنى لأحب قربك وإنى أحب أن تعبد ربك فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت فقال : يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر : فقال « ويحك يابلال ومايمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) » ثم قال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » وقد رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن جعفر بن عوف[3] الكلبى عن أبى حباب عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهى فى خدرها ، فسلمنا عليها فقالت من هؤلاء : قال فقلنا هذا عبدالله بن عمر وعبيد بن عمير . قالت ياعبيد بن عمير مايمنعك من زيارتنا . قال ماقال الأول * زرغبا تزددحبا * قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك . قال عبدالله بن عمر دعينا من بطالتكما هذه . أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله ﷺ قال فبكت ثم قالت كل أمره كان عجبا . أتانى فى ليلتى حى دخل معى فى فراشى حتى لصق جلده بجلدى ثم قال « ياعائشة

(١) فيها : افرشا (٢) الصواب : أبو جناب (٣) الصواب : ابن عون عن أبى جناب .

ائذنى لى أتعبد لربى » قالت إنى لأحب قربك وأحب هواك، قالت فقام إلى قربة فى البيت فما أكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه ؛ قالت ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره قالت ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر ثم قال الصلاة يارسول الله فلما رآه بلال يبكى قال يارسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ومالى لا أبكى وقد نزل على الليلة (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) إلى قوله (سبحانك فقنا عذاب النار ـ ثم قال ـ ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها » وهكذا رواه ابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عمران بن موسى عن عثمان بن أبى شيبة عن يحيى بن زكريا عن إبراهيم بن سويد النخعى عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه وهكذا رواه عبد الله بن محمد ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار عن شجاع بن أشرس به ثم قال: حدثنى الحسن بن عبد العزيز: سمعت سنيدا يذكر عن سفيان هو الثورى رفعه قال « من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله » يعد بأصابعه عشرا ـ قال الحسن بن عبد العزيز فأخبرنى عبيد بن السائب قال: قيل للاوزاعى ماغاية التفكر فيهن؟ قال. يقرؤهن وهو يعقلهن . قال ابن أبى الدنيا . وحدثنى قاسم بن هاشم حدثنا على بن عياش حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال : سألت الأوزاعى عن أدنى مايتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وماينجيه من هذا الويل ؟ فأطرق هنيهة ثم قال : يقرؤهن وهو يعقلهن (حديث آخر) فيه غرابة. قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نمير حدثنا إسحق بن إبراهيم البستى (ح) قال وحدثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو قال أنبأ ناهشام بن عمار أنبأنا سلمان بن موسى الزهرى أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومى أنبأنا سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريره قال ، كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة . مظاهر بن أسلم ضعيف

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾

يقول تعالى (فاستجاب لهم ربهم) أى فأجابهم ربهم كما قال الشاعر :

وداع دعا : يامن يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال: قالت. أم سلمة يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء . فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) إلى آخر الآية . وقالت الأنصار هى أول ظعينة قدمت علينا ، وقد رواه الحاكم فى مستدركه من حديث سفيان ابن عيينة . ثم قال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه وقد روى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هـذه الآية . (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) إلى آخرها . رواه ابن مردويه ، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوى الألباب لما سألوا ما سألوا مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) وقوله تعالى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) هذا تفسير للاجابة أى قال لهم مخبرا[1] أنه لا يضيع عمل عامل منكم[2] لديه ، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله (بعضكم من بعض) أى جميعكم فى ثوابى سواء (فالذين هاجروا) أى تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران (وأخرجوا من ديارهم) أى ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجأوهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال (وأوذوا فى سبيلى) أى إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يومنوا بالله العزيز الحميد)

(١) فى نسخة الأزهر : مجيبا لهم (٢) الظاهر أن يقول : منهم أو تحذف كما فى نسخة الأزهر

وقوله تعالى (وقاتلوا وقتلوا) وهذا أعلى المقامات أن يقاتل فى سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رجلا قال يا رسول الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابرا محتسباً مقبلا غير مدبر ، أيكفر الله عنى خطاياى ؟ قال « نعم ؟ ثم قال كيف قلت » فأعاد عليه ما قال . فقال « نعم . إلا الذى قاله لى جبريل آنفاً » ولهذا قال تعالى (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) أى تجرى فى خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله (ثوابا من عند الله) أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلا كثيراً كما قال الشاعر :

إن يعذب يكن غراما وإن يعـ ـط جزيلا فانه لا يبالى

وقوله تعالى (والله عنده حسن الثواب) أى عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا . قال ابن أبى حاتم ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال حدثنا الوليد بن مسلم أخبرنى جرير بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول أيها الناس لا تتهموا الله فى قضائه فانه لا ينبغى على مؤمن ، فإذا أنزل بأحدكم شيئا مما يحب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئا مما يكره فليصبر وليحتسب فان الله عنده حسن الثواب

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾

يقول تعالى لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة ، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجا وجميع ما هم فيه (متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وهذه الآية كقوله تعالى (ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) أى قليلا وقال تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) وهكذا لما ذكر حال الكفار فى الدنيا وذكر أن مآلهم إلى النار قال بعده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار) وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن نصر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله أنبأنا هشام بن عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحيى أنبأنا عبيد الله ابن الوليد الرصافى عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال « إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقا كذا لولدك عليك حق » كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعا ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن جناب حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن الوليد الرصافى عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو قال إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ، وهذا أشبه والله أعلم . ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى عن رجل عن الحسن قال الأبرار الذين لا يؤذون الذر . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن الأسود قال : قال عبد الله يعنى ابن مسعود ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها لئن كان برا لقد قال الله تعالى (وما عند الله خير للأبرار) وكذا رواه عبد الرزاق عن الثورى عن الأعمش به وقرأ (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) وقال ابن جرير حدثنى المثنى حدثنا إسحق حدثنا ابن أبى جعفر عن نوح بن فضالة عن لقمان عن أبى الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقنى فإن الله يقول (وما عند الله خير للأبرار) ويقول (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ماهم مؤمنون به من الكتب المتقدمة وأنهم خاشعون لله أى مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أى لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانو هوداً أونصارى . وقد قال تعالى فى سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) الآية . وقد قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية. وقد قال تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وهذه الصفات توجد فى اليهود ولكن قليلا كما وجد فى عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) إلى قوله تعالى (فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) الآية وهكذا قال ههنا (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) الآية وقد ثبت فى الحديث أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشى ملك الحبشة وعنده البطاركة والقساقسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم وثبت فى الصحيحين أن النجاشى لما مات نعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وقال « إن أخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه» فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه . وروى ابن أبى حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما توفى النجاشى قال رسول الله ﷺ « استغفروا لأخيكم » فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية ورواه عبد بن حميد وابن أبى حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبى ﷺ ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ماتقدم. ورواه أيضا ابن جرير من حديث أبى بكر الهذلى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال لنا رسول الله ﷺ حين مات النجاشى « إن أخاكم أصحمة قد مات» فخرج رسول الله صلى عليه وسلم فصلى كما صلى على الجنائز فكبر أربعا . فقال المنافقون يصلى على علج مات بأرض الحبشة فأنزل الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية. وقال أبو داود حدثنا محمد بن عمرو الرازى حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق حدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت لما مات النجاشى كنا نحدث أنه لايزال يرى على قبره نور . وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم فى مستدركه أنبأنا أبو العباس السيارى بمرو حدثنا عبد الله بن على الغزال حدثنا على بن الحسن بن شقيق حدثنا ابن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال نزل بالنجاشى عدو من أرضهم فجاءه المهاجرون فقالوا إنا نحب أن تخرج إليهم حتى نقاتل معك ونرى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا فقال لداء(١) بنصر الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس قال وفيه نزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية. ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (وإن من أهل الكتاب) يعنى مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصرى عن قول الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه وعرفوا الإسلام

(١) فى نسخة الأزهر : لادواء بنصرة الله الخ وهو موافق لما فى المستدرك المطبوع

فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذى كانوا عليه من الإيمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم واتباعهم محمداً صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبى حاتم ، وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » فذكر منهم رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى وقوله تعالى (لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا) أى لا يكتمون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجانا ولهذا قال تعالى (أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) قال مجاهد سريع الحساب يعنى سريع الاحصاء رواه ابن أبى حاتم وغيره وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال الحسن البصرى أمروا أن يصبروا على دينهم الذى ارتضاه الله لهم وهو الإسلام ، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء ، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف ، وأما المرابطة فهى المداومة فى مكان العبادة والثبات وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم وروى ابن ابى حاتم ههنا الحديث الذى رواه مسلم والنسائى من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جحيفة على بن يزيد الكوفى أنبأنا ابن أبى كريمة عن محمد بن يزيد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل علىّ أبو هريرة يوما فقال أتدرى يا ابن أخى فيم نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قلت لا قال أما إنه لم يكن فى زمان النبى ﷺ غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت فى قوم يعمرون المساجد ويصلون الصلاة فى مواقيتها ثم يذكرون الله بها فعليهم أنزلت (اصبروا) أى على الصلوات الخمس (وصابروا) أنفسكم وهواكم (ورابطوا) فى مساجدكم (واتقوا الله) فيما عليكم (لعلكم تفلحون) وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن داود بن صالح عن أبى سلمة عن أبى هريرة بنحوه وقال ابن جرير حدثنى أبو السائب حدثنى ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن جده عن شرحبيل عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا ؟ إسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن جرير أيضا حدثنى موسى ابن سهل الرملى حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر حدثنى يحيى بن يزيد عن زيد بن أبى أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويكفر به الذنوب ؟ » قلنا بلى يا رسول الله قال « إسباغ الوضوء فى أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن على أنبأنا محمد بن عبد الله بن سلام البرنوئى[1] أنبأنا محمد بن غالب الانطاكى أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى أيوب قال وفد علينا رسول الله ﷺ فقال « هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر ؟ » قلنا نعم يا رسول الله وماهو ؟ قال « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة » قال وهو قول الله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فذلك هو الرباط فى المساجد » وهذا حديث غريب من هذا الوجه جداً . وقال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير حدثنى داود بن صالح قال : قال لى أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخى هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال قلت لا قال إنه لم يكن يا ابن أخى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له وأنه من كلام أبى هريرة رضى الله عنه والله أعلم وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو فى نحو[2] العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقد وردت الأخبار بالترغيب فى ذلك وذكر كثرة الثواب فيه فروى البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد الساعدى أن

(١) فى نسخة الأزهر : ابن عبد السلام البيروتى (٢) وفيها : نحور .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (حديث آخر) روى مسلم عن سلمان الفارسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرنى أبوهانئ الخولانى أن عمرو بن مالك الحينى أخبره أنه سمع فضالة ابن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله فانه ينموله عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر » وهكذا رواه أبوداود والترمذى من حديث أبى هانئ الخولانى . وقال الترمذى حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه أيضاً (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا حسن بن موسى وأبوسعيد وعبد الله بن يزيد كلهم عن عبد الله بن لهيعة حدثنا مشرح ابن عاهان سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط فى سبيل الله يجرى عليه عمله حتى يبعث ويأمن الفتان » رواه الحارث بن محمد بن أبى الهامة[1] فى مسنده عن المقبرى وهو عبد الله ابن يزيد إلى قوله « حتى يبعث » دون ذكر « الفتان » وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولاسيما مع ماتقدم من الشواهد (حديث آخر) قال ابن ماجه فى سننه حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر » (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا موسى أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من مات مرابطا وقى فتنة القبر وأمن من الفزع الأكبر وغدا عليه ريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حلحلة الديلى عن إسحق بن عبد الله عن أم الدرداء[2] ترفع الحديث قالت « من رابط فى شىء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان وهو يخطب على منبره إنى محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعنى أن أحدثكم به إلا الظن[3] بكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » وهكذا رواه أحمد عن روح عن كهمس عن مصعب بن ثابت عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : خطب عثمان الناس فقال أيها الناس إنى سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لم يمنعنى أن أحدثكم به إلا الظن[4] بكم وبصحابتكم فليختر مختار لنفسه أوليدع » سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رابط ليلة فى سبيل الله كانت كألف ليلة قيامها وصيامها » (طريق أخرى) عن عثمان رضى الله عنه قال الترمذى حدثنا الحسن بن على الخلال حدثنا هشام ابن عبد الملك حدثنا الليث بن سعد حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه مابدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال محمد يعنى البخارى أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان ، وذكر غير الترمذى أن اسمه الحارث والله أعلم وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وعنده زيادة فى آخره فقال يعنى عثمان فليرابط امرؤ كيف شاء هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان حدثنا محمد بن المنكدر قال مر سلمان الفارسى بشرحبيل بن السمط وهو فى مرابطة له وقد شق عليه وعلى أصحابه فقال : ألا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال بلى : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم فى سبيل الله أفضل — أوقال خير — من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وقى فتنة القبر ونمى له عمله إلى يوم القيامة » تفرد به الترمذى من هذا الوجه ، وقال هذا حديث حسن ، وفى بعض النسخ زيادة وليس إسناده بمتصل :

(١) فى نسخة الأزهر : ابن أبى أسامة . (٢) فى الدر المنثور : عن أبى الدرداء يرفع الحديث . (٣) فيها : إلا الضن . (٤) وفيها : الا الضن أيضا

وابن المنكدر لم يدرك سلمان (قلت) الظاهر ان محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط وقد رواه مسلم والنسائى من حديث مكحول وأبى عبيدة بن عقبة كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » وقد تقدم سياق مسلم بمفرده (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السلمى حدثنا عمرو بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « حرس[1] ليلة وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً — أراه قال — : من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فإن رده الله تعالى إلى أهله سالما لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ، وتكتب له الحسنات . ويجرى عليه أجر الرباط إلى يوم القيامة » هذا حديث غريب من هذا الوجه . بل منكر . وعمر بن صبيح متهم (حديث آخر) قال ابن ماجه : حدثنا عيسى بن يونس الرملى حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبى طويل سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة فى سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه فى أهله ألف سنة . السنة ثلثمائة يوم ، اليوم كألف سنة » وهذا حديث غريب أيضا وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة : وقال العقيلى : لا يتابع على حديثه : وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به . وقال الحاكم روى عن أنس أحاديث موضوعة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبد العزيز عن[2] عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله حارس الحرس » فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر فإنه لم يدركه والله أعلم (حديث آخر) قال أبو داود : حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعنى ابن سلام[3] حدثنى السلولى أنه حدثه سهل بن الحنظلة أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حتى كانت عشية فحضرت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال : يارسول الله إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم ، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبى مرثد : أنا يارسول الله قال « فاركب » فركب فرساله ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله ﷺ « استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا تغز من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين فقال « هل أحسستم فارسكم » فقال رجل : يارسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاه فجعل النبى ﷺ وهو يصلى يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته قال « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعلنا ننظر فى خلال الشجر فى الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرتنى . فلما أصبحنا طلعت الشعبين كلتيهما ، فنظرت فلم أر أحداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا إلا مصليا أو قاضى حاجة ، فقال له « أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها » ورواه النسائى عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحرانى عن أبى توبة وهو الربيع بن نافع به (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح سمعت محمد بن شمير الرعينى يقول : سمعت أبا عامر البجيني[4] . قال الإمام أحمد : وقال غيره زائدا أبا على الحنفى يقول : سمعت أبا ريحانة يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأتينا ذات ليلة إلى شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر فى الأرض يدخل فيها ويلقى عليه الحجفة يعنى الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى « من يحرسنا هذه الليلة فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل » ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يارسول الله قال « ادن » فدنا منه ، فقال « من أنت ؟ » فتسمى له الأنصارى ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه » قال أبو ريحانة : فلما سمعت مادعا به قلت أنا رجل آخر فقال « ادن » فدنوت فقال « من أنت ؟ » قال : فقلت أبو ريحانة ، فدعا بدعاء دون مادعا به للأنصارى ثم قال : « حرمت النار على

(١) فى نسخة الأزهر : لرباط يوم فى سبيل الله من وراء الخ (٢) وفيها عن عمرو بن عبد الرحمن عن عقبة (٣) وفيها عن زيد بن سلام
(٤) انظر الكلام عنه فى الصفحة التالية .

عين دمعت ـ أو بكت ـ من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله » وروى النسائى منه « حرمت النار » إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به،وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبدالرحمن ابن شريح به وأتم وقال فى الروايتين عن أبى على البجينى[1] . (حديث آخر) قال الترمذى حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبة عن عطاء الخراسانى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله» ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق ، قال وفى الباب عن عثمان وأبى ريحانة (قلت) وقد تقدما ولله الحمد والمنة . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل ابن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال « من حرس من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم ، فإن الله يقول (وإن منكم إلا واردها)» تفرد به أحمد رحمه الله . ﴿ حديث آخر ﴾ روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة . إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، ولله الحمد على جزيل الأنعام ،على تعاقب الأعوام والأيام . وقال ابن جرير . حدثنى المثنى حدثنا مطرف بن عبد الله المدينى حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر أما بعد فانه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله تعالى يقول(يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وهكذا روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله ابن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبى سكينة قال : أملى على عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج ، وانشدها معى إلى الفضيل بن عياض فى سنة سبعين ، ومائة وفى رواية سنة سبع وسبعين ومائة

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا * لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه * فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل * فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا * رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا * قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى غبار خيل الله فى * أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا * ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه فى المسجد الحرام ،فلما قرأه ذرفت عيناه وقال صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى ثم قال . أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال: قلت نعم قال فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبى عبد الرحمن إلينا وأملى على الفضيل بن عياض . حدثنا منصور بن المعتمر عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رجلا قال يا رسول الله علمنى عملا أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله فقال « هل تستطيع أن تصلى فلا تفتر،وتصوم فلا تفطر؟» فقال يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبى ﷺ « فو الذى نفسى بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين فى سبيل الله، أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له بذلك الحسنات » وقوله تعالى (واتقوا الله) أى فى جميع أموركم وأحوالكم كما قال النبى ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (لعلكم تفلحون) أى فى الدنيا والآخرة ـ وقال ابن جرير حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول فى قول الله عز وجل (واتقوا الله لعلكم تفلحون) يقول اتقونى فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا إذا لقيمتونى ـ انتهى تفسير سورة آل عمران ، ولله الحمد والمنة ، نسأله الموت على الكتاب والسنة آمين

(١) هذا وما قبله محرف والصواب التجيبى وفى ترجمة محمد بن شمير بالشين المعجمة ويقال المهملة أنه روى عن أبى على التجيبى .